مجالس الصالحين

الرمضانية

الدكتور

علي جمعة

مفتي الديار المصرية

مركز الدراسات

المنهجية والمعرفية

مجالس الصالحين

الرمضانية

الدكتور
على جمعة
مفتى الديار المصرية

مركز
الدراسات
المنهجية والمعرفية

الشئون الفنية

إدارة الإيداع القانوني

إقرار بتسليم رقم الإيداع بدار الكتب

طبقاً لقانون الإيداع رقم

٣٨ لسنة ١٩٩٢م، ٨٢ لسنة ٢٠٠٢

عنوان المصنف : معالم الصالحين الرضائية

اسم المؤلف : عبد جمعة العنوان :

اسم الناشر : مركز الدراسات العنوان : ٤ ش الدرديري

اسم الطابع : زهران العنوان ٦ ش الدرديري الأزهر

الطبعة وتاريخها : عدد الصفحات : مقاس النسخة :

رقم الإيداع ٨/٦٩٨١ م الترقيم الدولي :

تحريرا في ٢٨/٨/٢٠٠٨ م المسلم عماد الدين سليم

رقم قومي : ٢٧٦٠٦٠٦٠١٠٠٧٦ مندوب : الطيب

ملحوظة : ٢٦٠٦٠٦٠١٠٠٧٦ بور سعيد - السيدة زينب

يتم إيداع النسخ المقررة طبقاً للقانون المشار إليه في خلال المدة المقررة من تاريخ الحصول على رقم الإيداع

مركز الدراسات المنهجية والمعرفيه

فريق العمل

المشرف العام

الأستاذ/ عماد الدين مصطفى طه

الباحثون

الأستاذ/ أحمد محمد خلف

الشيخ/ أسامة فتحي بدر

الأستاذ/ عبدالحميد منصور شوقي

الأستاذة/ لطيفة محمد عبدالرحيم

المراجعة

الأستاذ/ أحمد صلاح الدين المهجن

المدرس بالجامع الأزهر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة مركز الدراسات المنهجية والمعرفيه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،،،

فإن مركز الدراسات المنهجية والمعرفية يهدف إلى ترقية الوعي المسلم المعاصر، والمساهمة في بنائه منهجيًّا بحيث يجمع بين الاستقامة على الوحي والكفاءة في التعامل مع الواقع ومشكلاته. والمنهجية التي يسعى المركز لترسيخها هي منهجية وسطية جامعة: روحية عملية، ومثالية واقعية، وأصيلة معاصرة، تستقي من الأصول الإسلامية ثوابتها، وتتابع في فكر الراسخين في العلم متغيراتها الملائمة لقضايا العصر.

من هنا قررنا – في مركز الدراسات المنهجية والمعرفية – أن نقدم إلى القارئ الكريم سلسلة من الكتابات المتعلقة بالعلوم الإسلامية وقضايا الفكر والحياة الراهنة تعبر عن هذه المنهجية الوسطية الجامعة.

وقد استهللنا هذه السلسلة بكتاب ماتع في موضوعه ومنهاجه بعنوان «**الحج والعمرة: أسرار وأحكام**».

ويسرنا أن نقدم ثاني أعمالنا سلسلة **مجالس الصالحين**: وفيها يغوص الشيخ في بواطن الشريعة الإسلامية ليستخرج الدرر المضيئة والجواهر الوضيئة التي هي لب اللباب وغاية الأمر، يستشعر فيها المسلم بتخلية روحه وضميره عما سوى الله تعالى وتحليتهما بالتوحيد والإيمان والقرب والأنس، حتى تتجلى عليها أنوار رحمته ورضوانه جلّ وعلا.

ومن جهة أخرى تكون سلسلة أصيلة في مادتها، تصدر عن عَلَم من أعلام الشرع الشريف، يتميز بالدقة والعمق، والتيسير والسعة، والوضوح والبيان، فكانت هذه السلسلة لفضيلة مفتي الديار المصرية **الأستاذ الدكتور / علي جمعة**.

وفضيلة المفتي غنيٌّ عن التعريف به، إلا أنه يتميز بكونه مدرسة علمية وفكرية معبرة عن أصالة أهل العلم، وبقية الخير في هذه الأمة، الصادرين عن الكتاب والسنة، والحافظين للكنز التراثي العظيم، والعاملين لتحقيق مراد الله تعالى من خلقه وفي خلقه.. أجزل الله لهم الأجر والثواب في الدنيا والآخرة.

هذا، وقد قام مركز الدراسات المنهجية بتجميع هذه المادة الثرية من كتابات الشيخ الكريم -وتحت إشراف فضيلته- بالإضافة إلى مادة صوتية تم تحريرها في الصورة الكتابية، وتم الترتيب والجمع بحيث تخرج هذه السلسلة بصورتها هذه التي نرجو أن تحوز إعجاب القراء وأن تحقق المرجوَّ منها..

ويسرنا أن نقدم كتابًا ماتعًا في موضوعه ومنهاجه بعنوان: «**مجالس الصالحين في رمضان**».

نراه معبرًا أفضل تعبير عن الخط الذي اختطه المركز.

وفي هذا الصدد يتقدم المركز بجزيل الشكر والتقدير للباحثين والباحثات الذين أسهموا في إخراج هذا العمل، سائلين الله تعالى أن يجزل لهم الأجر والمثوبة. ونسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لنا أخطاءنا فيه وأن يجزي الشيخ عنا وعن أمته خير الجزاء.. إنه سبحانه هو البر الرحيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مركز

الدراسات المنهجية والمعرفية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،،،

فإن لله في أيام دهرنا لنفحات وجب علينا التعرض لها،ألا وإن أيام الله تعالى درجات فضَّل بعضها على بعض وميز بعضها عن بعض باختصاصات واصطفاءات ومن ذلك ليلة القدر التى هي خير من ألف شهر،

وكذلك أيام تتعلق بأنبياء الله قال تعالى: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًا)مريم(١٥)ومن ذلك شهر رمضان المعظم الذي ذكر باسمه من دون الشهور في كتاب الله العزيز وأنزل فيه القرآن

قال تعالى:(**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**) (البقرة/ ١٨٥)

وهو شهر له خصوصياته ونفحاته وبركاته التي تعم المسلمين وسائر البشر أجمعين.

نزل فيه القرآن الكريم وأكثر ما يتلى القرآن فيه.

فيه ليلة خير من ألف شهر .

وهو شهر زكاة الفطر.

وشهر الصيام والقيام والاعتكاف.

شهر تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد (تسلسل) الشياطين.

شهر تتضاعف فيه الحسنات،وتتضاءل السيئات ،وتتعاظم فيه البركات.

شهر أحبه رسول الله ﷺ واستعد له وخصه بعبادات وإجتهادات وكان فيه أجود من الريح المرسلة.

شهر اللقاء الخاص بين رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام حيث كان يراجعه ويدارسه الكتاب الكريم.

إن رمضان هو واسطة عقد عامنا الهجري، وأيامه فرصة عظيمة لمراجعة النفس،والنظر فيما أسلفنا، وفيما قدمنا لغد،ومن ثم فهو شهر التوبة وشهر الصبر والصبر جزائه الجنة.

وهذا الجمع العظيم من العبادات العظمى في شهر رمضان جدير بالعناية والرعاية اقتناص الفرصة.

كما قال رسول الله ﷺ" من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه "(١).

(١) أخرجه البخاري (ج٢/ ٧٠٩رقم١٩١٠) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج١/ ٥٢٤رقم٧٦٠) ط إحياء التراث العربي كلاهما

"من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"(١).

"ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان فانسلخ قبل أن يغفر له"(٢).

من هنا وجب التعريف بهذه الفضائل ،والتنبيه على هذه الكمالات ،حتى يتطلع إليها المسلم،ويطلبها حثيثا.

وهذا ما تهدف إليها هذه المجالس الرمضانية التي يحويها هذا الكتاب الذي يشتمل على مجالس رمضانية تطوف بالمسلم فى أرجاء الشهروأركانة ،وتتعرض لعدد من القضايا المهمة التى يحتاج المسلم إلى المعرفة بها .

=

عن أبي هريرة.

(١) أخرجه البخاري (ج١/ ٢٢رقم٣٧) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج١/ ٥٢٣رقم٧٥٩) ط إحياء التراث العربي.كلاهما عن أبي هريرة.

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي (ج٥/ ٥٥٠رقم٣٥٤٥) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أحمد (ج٢/ ٢٥٤رقم٧٤٤٤) ط مؤسسة قرطبة.كلاهما عن أبيهريرة

المجلس الأول

خصائص رمضان وأثرها الأخلاقي

المجلس الأول
خصائص رمضان
وأثرها الأخلاقي

اختصَّ الله شهرَ رمضان بكثير من الخصال ـ رزقنا الله حسن اغتنامه ـ ونذكر من هذه الخصال ما يلي:

الخصلة الأولى: نزول القرآن الكريم فيه، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة:١٨٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ (الدخان:٣)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (القدر:١).

فرمضان شهر القرآن وهذه أهم خصائصه، فعلى المسلم أن يخُصَّ رمضان بالإكثار من تلاوة القرآن كما أن ربَّه خَصَّه بإنزال القرآن فيه، وكما كان حال رسوله الكريم ﷺ، فقد صَحَّ عن النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل عام مرة، وكان ذلك في شهر رمضان، وقد شعر النبي ﷺ بقُرْبِ أجَلِه في العام الأخير؛ لأنَّ جبريلَ قَدْ عارضَه القرآن مرتين.

فعن عائشة قالت: «كنَّ أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر

منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئًا، فلما رآها رحب بها، فقال: مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّها فبَكَتْ بكاءً شديدًا فلمَّا رأى جَزَعَهَا سارَّها الثانية فضحكت، فقلت لها خَصَّك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ، قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سِرَّه، قالت: فلما تُوفِّي رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني، ما قال لك رسول الله ﷺ فقالت: أمَّا الآن فنعم أما حين سارَّني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرَّتين، وأنه عارضه الآن مرَّتين، وأني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت؛ فلمَّا رأى جزعي سارَّني الثانية، فقال: يا فاطمة أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة، قالت: فضحكت»[1].

ولذا كان السلف الصالح والعلماء يُكْثِرُون مِنْ مُدَارَسَةِ

(١) أخرجه البخاري (ج٥/ ٢٣١٨رقم٥٩٢٨) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٤/ ١٩٠٤رقم٢٤٥٠) ط إحياء التراث العربي.

القرآن وتلاوته في شهر رمضان، فكانت عائشة - رضي الله عنها - تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس - أي ارتفعت - مالت.

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة، وأقبل على تلاوة القرآن، وكان النخعي يختم في كل ثلاث ليال في العشرين الأول من رمضان، وفي العشر الأواخر يختم في ليلتين سوى الصلاة.

وكان لأبي حنيفة ستون ختمة في رمضان، وكان مالك إذا دخل رمضان نَفَرَ من قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن في المصحف، وكان للإمام الشافعي خَتْمَتَان في كل يوم سوى الصلاة.

فلعلَّ هذه الأخبار تُحَفِّزُ المسلم وتُرَغِّبُه في الإقبال على القرآن الكريم وتلاوته في هذا الشهر العظيم، وينبغي أن يحرص المسلم على ختم القرآن على الأقل مرة واحدة في رمضان.

الخصلة الثانية: -التي خَصَّ اللهُ بها شهر رمضان- **وجوب صومه**، فهو الشهر الوحيد الذي أَوْجَبَ الله صومَه وجعلَ صومه أحد أركان الدين، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا**

﴿الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥)، وقال النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**»(١).

ولقد شُرِعَ الصوم في أوقات أخرى على جهة النَّدْبِ كيومي الاثنين والخميس، والأيام القمرية الثلاثة من كل شهر عربي، وعاشوراء، ويوم عرفة، وقد يوجب المسلم على نفسه الصوم بالنذر، وقد يندب الإكثار في أغلب أيام الشهر كشهر شعبان والمحرم إلا أن ذلك كله لا يعارض أن شهر رمضان هو الشهر الوحيد الذي أوجب الله صومه.

والصوم تدريب على الصبر واحتمال ألم الجوع في سبيل الله، ولقد وعد الله الصابرين بأجر عظيم فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠).

الخصلة الثالثة: التي اختصَّ بها ربُّنا شهر رمضان الكريم وذلك بأن جعل الصدقة فيه خير من غيره، وللصدقة عموما فضل كبير في الإسلام فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال:

(١) أخرجه البخاري (ج١/ ١٢رقم٨) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج١/ ٤٥رقم١٦) ط إحياء التراث العربي.

«**الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**»(١).

وقال ﷺ: أفضل الصدقة صدقة المُقِلِّ: «يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: **جهد المقل، وابدأ بمن تعول**»(٢).

ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «**إن أحب الأعمال إلى الله سرورٌ تدخلُه على مؤمن، تكشف عنه كربًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تَطْرُدَ عنه جوعًا**»(٣).

وقوله ﷺ: «**من أفضل العمل: إدخال السرور على المؤمن يقضي عنه دينًا، يقضي له حاجة، ينفس له كربة**»(٤).

بل إن الصدقة لتباهي غيرها من الأعمال وتفخر عليها؛ وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: «**إن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة: أنا أفضلكم**»(٥).

(١) أخرجه الترمذي (ج٥/ ١٢رقم٢٦١٦) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه ابن ماجه (ج٢/ ١٣١٥رقم٣٩٧٣) ط دار الفكر.
(٢) أخرجه أبو داود (ج٢/ ١٢٦رقم١٦٧٧) ط دار الفكر، وأخرجه أحمد (ج٢/ ٣٥٨رقم٨٦٨٧) ط مؤسسة قرطبة، وأخرجه الحاكم (ج١/ ٥٧٤رقم١٥٠٩) ط دار الكتب العلمية.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (ج١٢/ ٤٥٣رقم١٣٦٤٦) ط مكتب العلوم والحكم. وفي الأوسط (ج٦/ ١٣٩رقم٦٠٢٦) ط دار الحرمين.
(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (ج٥/ ٢٠٢رقم٥٠٨١) ط دار الحرمين.
(٥) أخرجه الحاكم (ج١/ ٥٧٦رقم١٥١٨) ط دار الكتب العلمية، وأخرجه ابن خزيمة (ج٤/ ٩٥رقم٢٤٣٣) ط المكتب الإسلامي.

وكان النبي ﷺ يكثر من الصدقة في شهر رمضان، فعن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: «كان رسول الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيُدَارِسُه القرآن، فلَرَسُولُ الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»(١).

ولقد حَثَّ الشرع الشريف على الصَّدقات في شهر رمضان، ورَغَّبَ فيها، ومن هذه الصدقات التي حَثَّ عليها، إفطار الصائم، فعن النبي ﷺ قال: «**من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا**»(٢).

الخصلة الرابعة: اختصاصه بليلة القدر، وليلة القدر خير ليلة في العام، فهي خير من ألف شهر وهي ليلة مباركة، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**

(١) أخرجه البخاري (ج١/ ٦رقم٦) ط ابن كثير اليمامة – بلفظه، وأخرجه مسلم (ج٤/ ١٨٠٤رقم٢٣٠٨) ط إحياء التراث العربي – عن ابن عباس – بلفظ " كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان إن جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ".

(٢) أخرجه الترمذي (ج٣/ ١٧١رقم٨٠٧) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح – ط إحياء التراث العربي،وأخرجه النسائي في الكبرى (ج٢/ ٢٥٦رقم١٣٣١) ط دار الكتب العلمية.

*لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ *تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر:١ – ٥).

وقال – سبحانه وتعالى –: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ (الدخان: ٣، ٤).

قال النبي ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(١).

وقال النبي ﷺ: «**تحرُّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**»(٢).

ويندب إحياء ليلة القدر لفعل النبي ﷺ فإنه كان يجاور في العشر الأواخر، فصَحَّ عنه ﷺ أنه قال: «إني كنت أجاور هذه العشر، ثم بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر، فمن كان اعتكف معي فليبت في معتكفه، وقد رأيت هذه الليلة فأنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر في كل وتر»(٣).

وورد عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ: «كان

(١) أخرجه البخاري(ج٢/ ٦٧٢رقم١٨٠٢) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج١/ ٥٢٣رقم٧٦٠) ط إحياء التراث العربي.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٧١٠رقم١٩١٣) ط ابن كثير اليمامة.

(٣) أخرجه البخاري (ج٢/ ٧١٠رقم١٩١٤) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/ ٢٤رقم١١٦٧) ط إحياء التراث العربي.

إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر»[1].

ويكون إحياء ليلة القدر بالصلاة وقراءة القرآن والذِّكْر والدعاء، وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وأن يُكْثِرَ مِنْ دُعَاءِ: اللهمَّ إنَّك عفو تحبُّ العفو فاعفُ عني، لحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: «قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها قال: **قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني**»[2].

قال ابن علان بعد ذِكْرِ هذا الحديث: فيه إيماء إلى أن أهمَّ المطالب انفكاك الإنسان من تبعات الذنوب وطهارته مِنْ دَنَسِ العيوب، فإن بالطهارة من ذلك يتأهَّل للانتظام في سلك حزب الله وحزب الله هم المفلحون.

ولم تكن ليلة القدر من خصائص شهر رمضان فحسْب، بل إنها من خصائص هذه الأمة كما ذهب إلى ذلك جمهور الفقهاء، فرأوا أنها خاصة بالأمة المحمدية ولم تكن في الأمم السابقة، واستدلُّوا بما روي عن مالك بن أنس: أنه سمع مَنْ يَثِقُ به من أهل العلم يقول: «إن رسول الله ﷺ أُري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن

(١) أخرجه مسلم (ج٢/ ٨٣٢رقم١١٧٤) ط إحياء التراث العربي.
(٢) أخرجه الترمذي (ج٥/ ٥٤٣رقم٣٥١٣) ط إحياء التراث العربي.

لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر؛ فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر»[1].

ولِمَا رُوي «أن النبي ﷺ ذَكَرَ رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، قال: فعجب المسلمون من ذلك، قال فأنزل الله عز وجل: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ *لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾(القدر:١ - ٣) التي لبس فيها ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر» وهذا مرسل[2].

وكان النبي ﷺ يُبَشِّرُ أصحابه بمقدم رمضان وليلة القدر، فعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: «كان النبي ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان، يقول: **قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر**» وزاد أحمد في روايته: «من حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ»[3] (أي ليلة القدر).

الخصلة الخامسة: التي خَصَّ الله بها شهرَ رمضان صلاة

(١) أخرجه مالك (ج١/ ٣٢١رقم٦٩٨) ط إحياء التراث العربي.
(٢) أخرجه البيهقي الكبرى (ج٤/ ٣٠٦رقم٨٣٠٥) ط دار الباز.
(٣) أخرجه أحمد (ج٢/ ٤٢٥رقم٩٤٩٣) ط مؤسسة قرطبة.

التراويح، وهي شكل من أشكال صلاة الليل، وأجمع المسلمون على سُنِّيَّةِ قيام ليالي رمضان، وقد ذَكَرَ النووي أن المرادَ بقيام رمضان صلاة التراويح، يعني أنه يحصل المقصود من القيام بصلاة التراويح.

والتراويح في اللغة: جمع الترويحة، يقول ابن منظور: «التَّرْويحةُ في شهر رمضان: سميِّت بذلك لاستراحة القوم بعد كل أربع ركعات؛ وفي الحديث: صلاة التراويح؛ لأنهم كانوا يستريحون بين كل تسليمتين، والتراويح: جمع تَرْويحة، وهي المرة الواحدة من الراحة، تَفْعِيلةٌ منها، مثل تسليمة من السَّلام»[1].

فهي قيام رمضان، ولها هيئة مخصوصة، فعدد ركعاتها ٢٠ ركعة -كما بينا- يُسَلِّمُ بعد كلِّ ركعتين، وينوي بها سُنَّةَ التراويح، وهي سُنَّةٌ نبوية في أصلها، عمرية في هيئتها وعدد ركعاتها، ولقد أكثرنا الحديث عن ذلك فيما سبق.

الخصلة السادسة: من الخصال التي خُصَّ بها رمضان هي أن العمرة فيه أفضل من العمرة في أي وقت آخر، فقد روى ابن عباس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «**فإذا كان رمضان اعتمري فيه فإن عمرة في رمضان حجة**» العمرة في

(١) لسان العرب، لابن منظور، ج١ ص ٦١٥.

رمضان تعدل حجة[1]، وفي رواية لمسلم كذلك «أو حجة معي».

وبالعمرة في رمضان يتحصَّل المسلم على كفَّارتين، فصَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[2]، وصَحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**الصلاة المكتوبة إلى الصلاة المكتوبة التي بعدها كفارة لما بينهما، والجمعة إلى الجمعة والشهر إلى الشهر يعني من شهر رمضان إلى شهر رمضان كفارة لما بينهما**»[3]، والعمرة مشروعة في كل وقت، إلا أنها في رمضان يَعْظُمُ أَجْرَها كما ثَبَتَ ذلك عن النبي ﷺ.

ولعلَّ انتصارات الأمة الإسلامية من خصائص شهر رمضان التي لم يَنُصَّ عليها الشرع الشريف صراحة، وإنما حصلت من الاستقراء، وذلك بسبب أن إجابة الدعاء فيه

(١) أخرجه البخاري (ج٢/ ٦٣٢رقم١٦٩٠) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/ ٩١٧رقم١٢٥٦) ط إحياء التراث العربي- بلفظ " فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي ".
(٢) أخرجه البخاري (ج٢/ ٦٢٩رقم١٦٨٣) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/ ٩٨٣رقم١٣٤٩) ط إحياء التراث العربي.
(٣) أخرجه أحمد (ج٢/ ٢٢٩رقم٧١٢٩) ط مؤسسة قرطبة، وأخرجه الحاكم (ج١/ ٢٠٧رقم٤١٢) ط دار الكتب العلمية.

أرْجَى من أي وقت آخر.

رأينا كيف خَصَّ ربنا هذا الشهر الكريم بكثير من الخصال كنزول القرآن، ووجوب صومه، واستحباب الصدقة فيه، وعظم أجرها، وليلة القدر، وصلاة التراويح، واستحباب العمرة فيه، وعظم أجرها، وكذلك ما حدث فيه من انتصارات للأمة الإسلامية.

فرمضان هو شهر القرآن، وشهر الصوم، وشهر الصدقات، وشهر القيام، وشهر القربات، وشهر الانتصارات، وينبغي أن يتأثر المسلم في قلبه وروحه، وفي سلوكه وأخلاقه بهذه الخصائص فيتعلم من المدرسة الربانية، ويستفيد من الشحنة الإيمانية، ويتعرَّض للنفحات المباركة.

يتعلم المسلم من رمضان التقوى، فيكون في حذر شديد أثناء صومه من الاقتراب من الطعام والشراب والشهوة وكذلك من جميع ما لا يرضي ربه عنه، وبعد الإفطار يكون في حذر شديد من الوقوع فيما يغضب الله، فهو يراقب الله ويملأ أوقاته بالطاعات.

ولذا فالتقوى من ثمرات شهر رمضان والصوم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣).

وهناك معانٍ كثيرة للتقوى في الشرع ذكرها العلماء، لعلَّ أبْسَطَها: التباعد عن كلِّ مُضِرٍّ في الآخرة، وقد ذُكر في معناها أيضا: أنها عبارة عن حجاب معنوي يتَّخِذُه العبدُ بينه وبين العقاب، كما أن الحجاب المحسوس يتَّخِذُه العبد مانعًا بينه وبين ما يكرهُه.

وهي سبيل الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١٨٩).

وهي كذلك من أسباب مَعِيَّة الله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(البقرة: ١٩٤).

وهي باب للتعرُّف على صفات الجلال لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: ١٩٦).

وهي المعيار المعتبر للتفاضل بين الناس: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

والتقوى سبب لدخول الجنة، سُئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الجنة فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»[1].

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ج١/ ١١٠رقم٢٩٤) ط دار البشائر الإسلامية، وأخرجه الترمذي (ج٤/ ٣٦٣رقم٢٠٠٤) ط إحياء التراث العربي.

وسبب لمحبة الله سبحانه وتعالى، فعن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[1].

والصبر ثمرة أخرى يتعلمها المسلم من هذا الشهر الفضيل، فيتعلم تحمل الألم والجزع في سبيل الله، ويهون عليه ألم النفس لرضا ربه، فشهر رمضان شهر التربية، يكسر فيه المسلم شهوته، ويلغي هواه، ولعل المنع من المباح في نهار رمضان، والإذن فيه في الليل ثم المنع في الفجر يمثل منهجا تربويا في الامتثال لكل أوامر الله، حيث يتدرب المسلم على الترك والفعل في حدود المباح والمأذون له.

فرمضان يصنع المسلم الطاهر الممتثل لأمر الله التقي الصابر، وما زال في شهر رمضان آثار وأسرار كثيرة نسأل الله أن يتقبَّلَ منَّا صيامَه وقيامه آمين.

* * *

(١) أخرجه مسلم (ج٤/ ٢٢٧٧ رقم٢٩٦٥) ط إحياء التراث العربي.

المجلس الثاني

استقبال رمضان

المجلس الثاني

استقبال شهر رمضان

قَرَعَ أبوابَنا ضيفٌ كريمٌ، ضيفٌ جاء ليُكْرِمَنَا على عكس الحال المعتاد، فإن الضيف ينتظر أن يُكْرِمَه أهْلُ الدَّار، إلا أنَّ هذا الضيفَ لا ينتظر مِنَّا إكرامًا ولكن الله عز وجل جعله سببًا في الإكرام والغفران، والعتق من النيران.

هذا الضيف هو الشهر الفضيل، شهر رمضان المبارك، فهلموا عباد الله لاغتنام هذا الموسم الرابح، للتعرض لتلك النفحات الإلهية الطيبة، يقول النبي ﷺ: «**إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها؛ لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها**»(١) وعن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: «التمسوا الخير دهركم كلَّه، وتعرَّضوا لنفحات رحمة الله؛ فإنَّ لله نفحات من رحمته يُصيبُ بها مَنْ يشاءُ من عباده، واسألوا الله أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم»(٢).

---

(١) - أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٢٣٣، ب برقم: ٥١٩) ط مكتبة العلوم والحكم، والأوسط (٣/ ١٨٠، ب برقم: ٢٨٥٦) و (٦/ ٢٢١-٢٢٢، ب برقم: ٦٢٤٣) ط دار الحرمين.

(٢) - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ١١١ ب برقم: ٣٤٥٩٤) ط المكتب الإسلامي، وأخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٢٥٠ ب برقم: ٧٢٠) وفي أوله:" افعلوا ". ط مكتبة العلوم والحكم

رمضان شهر يُهَيِّئُ الله فيه للعبد جَوَّ العبادة، فصَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدَت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقْصِر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة**»[1].

وقد كان سلفُنا الصالح يَنْشَغِلُ برمضان طوال السنة، مِنْ ذلك ما وردَ عَنْ مُعَلَّى بن الفضل أنه قال: «كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يُبَلِّغَهم رمضان، ثم يدعون ستة أشهر أن يَتَقَبَّل منهم».

وقال يحيى بن أبي كثير: «كان من دعائهم: اللهم سَلِّمْني إلى رمضان، وسَلِّمْ لي رمضان، وتَسَلَّمْه مِنِّي متقبَّلاً».

ويمكننا أن نستعدَّ لاستقبال شهر رمضان بعدة أمور، منها: تنظيم اليوم، والرجوع إلى تقسيمه إلى يوم وليلة، ومنها التدريب على الصيام، والتلاوة، والذكر، والقيام وغير ذلك من العبادات والطاعات.

* **أما شأن النظام اليومي**: فشهر رمضان يعود بالمسلم إلى

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٦٦ ب برقم: ٦٨٢) ط دار إحياء التراث العربي، وأخرجه الحاكم (١/ ٨٢ ب برقم: ١٥٣٢) ط دار الكتب العلمية.

التوقيت الموافق للشرع الشريف، وإلى التقويم السليم لمعايشة اليوم والليلة، إلا أننا لا نشعر بذلك، بل ربما نشعر بالعكس؛ لأننا نعيش أحد عشر شهرًا على أن اليوم والليلة وحدة واحدة تساوي: ٢٤ ساعة، وأن تلك الوحدة تنتهي في الساعة الـ١٢ حتى أن الساعات بعد ذلك تعتبر في صباح اليوم الجديد، رغم أن الليل ما زال يُخَيِّمُ علينا.

ولقد كانت ساعاتنا ساعات غروبية تَتَّسِقُ مع العبادة، وتَنْضَبِطُ الساعة مع أذان المغرب على الساعة الـ١٢، فنعرف الساعة الأولى من الليل، والساعة الثانية والساعة الثالثة وهكذا، فعندما نقرأ الحديث الذي رواه الإمام البخاري: «أن من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»[1] تجد الناس وقد فهمته، لأنهم يعرفون ما الساعة الأولى، وما الساعة الثانية.

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٠١ ب برقم: ٨٤١) ط دار ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (٢/ ٥٨٣ ب برقم: ٨٥٠) ط دار إحياء التراث العربي.

ثم اختلف الحال فأصبحت الساعة (١٢) هي وسط النهار، ومن المعلوم أن اليوم ليس (٢٤) ساعة تمامًا، بل يختلف باختلاف الأيام في السنة، فهو بين ٢٤ ساعة و١٧ دقيقة، و٢٤ ساعة إلا ١٧ دقيقة، لأجل هذه الـ (٣٤) دقيقة يختلف آذان الظهر عندنا الآن، فنجده يؤذن مرة ١١.٣٥، ومرة ١٢.٠٧؛ لأن هذه المساحة من الوقت هي التي يختلف فيها اليوم واقعيًّا على مَرِّ السنة.

كان المسلمون يُكَيِّفُون أنفسهم ومعيشتهم بطريقة تجعل العبادة سهلة، وتجعل هذه الشعائر التي يقيمونها تنطبقُ تمامًا مع النظام اليومي الذي يعيشونه، فلم يكن هناك نوع تنافر ولا اضطراب، ولا ضيق، ولا فوات للصلاة؛ كانوا ينامون بعد العشاء ويستيقظون قبل الفجر، كانوا يدركون ما معنى ثلث الليل الأخير الذي يستجيب الله فيه الدعاء، كان هناك تفاعل مع هذا الدِّين.

هذا عرض بسيط لا نقف عنده طويلا، لكن هذه اللحظة فارقة في تاريخنا، وبعد هذه اللحظة اختفت معالم اليوم الذي كان يتناسب مع فهم النصوص الشرعية ومُسَايَرَةِ الحضارة الإسلامية.

ورغم اختفاء معالم التوقيت الذي كان يتناسب مع العبادات وفهم النصوص الشرعية إلا أن تلك المعالم تعود

في رمضان حيث يفرض نفسه طوال الشهر ممَّا يَشْعُرُ معه المسلمون في أنحاء الأرض بارتباك شديد، وزلزال عنيف في نظام نومهم ويَقَظَتِهم، وعملهم وراحتهم.

فرمضان لا يَقْلِبُ الأمورَ بلْ يَعْدِلُها، لذا فأوَّل ما يستعدُّ به المسلم لاستقبال شهر رمضان هو أنْ يُحَاوِلَ أن يعيش نظام اليوم الرمضاني قبله، وذلك لا يتأتى إلا بالصوم والسحور؛ ففيهما العَوْنُ على ذلك.

والجهاز العصبي للإنسان لا يمكنه أن ينتقلَ في لحظة من حال إلى حال، وإنما ينبغي التدريب شيئًا فشيئًا؛ حتى ينتقل من نظامه الذي اعتاد عليه من نوم ونشاط وفتور، إلى النظام الآخر الذي سيُقْدِمُ عليه، وكثير من المسلمين يحاولون مُسَايَرَةَ رمضان في أول أيامه بسبب الدَّفْعَةِ الإيمانيَّةِ ثم سرعان ما يتنافرون مع نظام اليوم الرمضاني، وذلك لأنهم لم يَسْتَعِدُّوا بالشكل الصحيح لذلك الشهر.

ولعل اتباع هَدْيَ النبيِّ ﷺ بالإكْثَارِ من الصيام في شهر شعبان يُيَسِّرُ على المسلم مهمة الصيام في شهر رمضان، ولا يشعر بعناء في تلك العبادة العظيمة، وذلك لأن شعبان شهر يتناسب في المناخ وطول النهار وقِصَرِه مع شهر رمضان لأنه الشهر الذي يسبقه مباشرة، فالتعوُّد على الصوم فيه يُيَسِّرُ على المسلم ذلك.

* أمر آخر للاستعداد لاستقبال الشهر المعظم، وهو القرآن الكريم ومدارسته وتلاوته ومحاولة خَتْمِ المصحف في شهر شعبان، وذلك لتيسير قراءته وختمه في شهر رمضان، فقراءة القرآن عبادة نَيِّرَة، تُعِينُ المسلم على باقي العبادات في شهر رمضان وغيره، وهي تُنِيرُ قَلْبَ المسلم وتَشْرَحُ صَدْرَه، فلا ينْبغي للمسلم أن يتركها طول السنة ويَقْصُرَها على رمضان، إلا أنه يزيد منها فيه لاستغلال هذه الدَّفعة الإيمانية والنفحة الربَّانِيَّة.

* صلاة القيام أيضا من الأمور التي ينبغي للمسلم أن يُعَوِّدَ نفسَه عليها حتى يتمكَّن مِنْ فِعْلِه في رمضان بغير عناء وشقاء، وقيام الليل ليس عبادة خاصة بشهر رمضان وحده، إلا أنها تشرع في رمضان في جماعة ويُعَانُ فيها المسلم على الخير، وتكون لها كيفيَّة خاصَّة.

وبمناسبة "القيام" نريد أن نُنَبِّهَ على ما نعيشُه من نزاع سنوي في شهر رمضان المبارك بين بعض المُتشدِّدين الذين يريدون حَمْلَ الناس على مذهبهم، وبين العوام، وسبب هذا النزاع مسألة «عدد ركعات صلاة التراويح» إذ يقولون: «لا يجوز الزيادة عن ثماني ركعات في صلاة التراويح» فينكرون على العوام أيَّما إنكار، ويتَّهمونهم بالابتداع إذ يصلون التراويح عشرين ركعة.

والحق أن الأمة أجمعت على أن صلاة التراويح عشرين

ركعة من غير الوتر، وثلاث وعشرين ركعة بالوتر، وهو معتمد المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية، والمالكية في المشهور، والشافعية، والحنابلة، وهناك قول نُقِلَ عن المالكية خلاف المشهور أنها ست وثلاثين ركعة، ولم تعرف الأمة القول بأن صلاة التروايح ثماني ركعات إلا في هذا الزمن، وسبب وقوعهم في تلك المخالفة الفهم الخاطئ للسنة النبوية، وعدم قدرتهم على الجمع بين الأحاديث، وعدم التفاتهم إلى الإجماع القولي والفعلي مِنْ لَدُن الصحابة إلى يومنا هذا، فاستشهدوا بحديث عائشة -رضي الله تعالى عنها- حيث قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يُصَلِّي أربعًا فلا تَسَلْ عن حُسْنِهِنَّ وطولهن، ثم يُصَلِّي أربعًا فلا تسل عن حُسْنِهِنَّ وطُولهنَّ، ثم يُصَلِّي ثلاثًا، قالت عائشة: فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: يا عائشة، إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»[1].

وهذا الحديث يحكي عن هَدْيِ النبي ﷺ في نافلة قيام الليل عمومًا ولم يتعرَّضْ إلى صلاة التراويح؛ إذ هي قيام ليل مخصوص بشهر رمضان، وهي سنة نبوية في أصلها، عُمَرِيَّة

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٨٥ ب برقم: ١٠٩٦) و (٢/ ٧٠٨ ب برقم: ١٩٠٩) و (٣/ ١٣٠٨ ب برقم: ٣٣٧٦) ط دار ابن كثير، اليمامة.

في كيفيَّتها، بمعنى أن الأمَّة سارت على ما سَنَّه سيدنا عمر ابن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- من تجميع الناس على القيام في رمضان في جميع الليالي، وعلى عدد الركعات التي جمع الناس عليها على أبي بن كعب -رضي الله تعالى عنه- والنبي ﷺ يقول: «**عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضوا عليها بالنواجذ**»[1].

إن لم يكن مستند الأمة فعل سيدنا عمر -رضي الله تعالى عنه- فلِمَ تؤدَّى التراويح في جماعة في المسجد على إمام واحد؟! وكأن هؤلاء يأخذون من سنة سيدنا عمر -رضي الله تعالى عنه- جمع الناس على إمام طوال الشهر، وهو ما لم يفعله النبي ﷺ ويتركون عدد الركعات ويزعمون أنهم يُطَبِّقُون سنَّة النبي ﷺ فإن كان هذا صحيحًا، وأنتم لا تلتفون لفعل سيدنا عمر -رضي الله تعالى عنه- فيجب عليكم أن تُصَلُّوا التراويح في البيت، وتتركوا الناس يطبِّقون دين الله كما ورثوه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومما ورد في الآثار الصحيحة يُبَيِّنُ أنَّ فِعْلَ سيدنا عمر -

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤ ب برقم: ٢٦٧٦) ط دار إحياء التراث العربي، وأخرجه ابن ماجه (١/ ١٦ ب برقم: ٤٢) ط دار الفكر، وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٦ ب برقم: ١٧١٨٤) ط مؤسسة قرطبة.

رضي الله عنه- هو صلاة عشرين ركعة في تراويح رمضان، ما ثبت عن السائب بن يزيد -رضي الله تعالى عنه- حيث قال: «كانوا يقومون على عَهْدِ عمر بن الخطاب في شهر رمضان بعشرين ركعة، قال: وكانوا يقرؤون بالمائتين، وكانوا يتوكئون على عصيهم في عهد عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- من شده القيام»[1].

حتى ابن تيمية الذي يعتمده كثير من المتشدِّدين المرجعَ الوحيد في مسائلهم كان كلامه أهْوَنَ، وأجمع للأمة من كلامهم حيث قال: «شبه ذلك من بعض الوجوه تنازع العلماء في مقدار القيام في رمضان، فإنه قد ثبت أن أبيَّ بن كعب كان يقوم بالناس عشرين ركعة في قيام رمضان، ويوتر بثلاث، فرأى كثير من العلماء أن ذلك هو السنة؛ لأنه أقامه بين المهاجرين والأنصار، ولم ينكره منكر، واستحبَّ آخرون: تسعة وثلاثين ركعة؛ بناء على أنه عمل أهل المدينة القديم، وقال طائفة: قد ثبت في الصحيح عن عائشة: «أن النبي ﷺ لم يكن يزيد في رمضان ولا غيره على ثلاث عشرة

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢٠/ ٤٩٦ ب برقم: ٤٣٩٣) ط دار الباز، وأخرجه ابن الجعد في مسنده (١/ ٤١٤ ب برقم: ٢٨٢٥) ط مؤسسة نادر.

ركعة»[1]، واضطرب قوم في هذا الأصل؛ لما ظنُّوه من معارضة الحديث الصحيح؛ لما ثبت من سنة الخلفاء الراشدين، وعمل المسلمين، والصواب أن ذلك جميعه حسن»[2].

أردت التنبيه على هذه المسألة لأمرين:

الأول: أن السنة التي ظلَّتْ بين المسلمين طوال القرون الماضية كادت أن تموت.

والثاني: حتى لا يشتدَّ المخالف في الإنكار على ما اتَّفَقَتْ عليه الأمَّة سلفًا وخلفًا.

* ونعود إلى الاستعداد لشهر رمضان، فالاستعداد يكون بتنظيم اليوم كما ذكرنا، وبالصوم، وبتلاوة القرآن، وبقيام الليل، ويستحبُّ أنْ يكون ذلك القيام بعد العشاء حتى يعتادَ على تراويح رمضان.

* ولا نَنْسَى أن نُذَكِّرَ بأهَمِّ ما يُعِينُ على ذلك كله، ألا وهو ذِكْرُ الله عز وجل، وقد ورد الحَثُّ على الذِّكْرِ في كتاب الله وسنة النبي ﷺ فمِنَ القرآن قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢)، وقوله سبحانه: ﴿الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٩٣ ب برقم: ١١١٧) ط ابن كثير اليمامة.
(٢) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ج٢ ص ٢٤٩.

وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الأحزاب: ٣٥)، وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: ٤٥)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

ويقول رسول الله ﷺ في نصيحته العامة: «لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[1].

فبذكر الله يُعَانُ المؤمن على كُلِّ ما أرادَ أن يُقْبِلَ به على ربِّه عز وجل، ولا نَنْسَى أن نؤكِّدَ على أهمِّيَّة الإعداد والاستعداد لهذا الشهر الفضيل، وأنَّ تَرْكَ هذا الإعْدَادَ يُعَدُّ مِنَ النِّفَاقِ العَمَلِيِّ، لكن مَنْ أرادَ تحصيلَ شيء استعدَّ له، ومَنْ أرادَ النجاحَ ذاكر، فمَنْ أرادَ أنْ يَغْتَنِمَ هذا الشهرَ الفضيلَ أحْسَنَ الاستعدادَ له، ولقد ذَمَّ اللهُ أقوامًا زعموا أنهم أرادوا أمرًا ولكنَّهم ما أعَدُّوا له، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة:٤٦).

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٨ ب برقم: ٣٣٧٥) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه الحاكم (١/ ٦٧٢ ب برقم: ١٨٢٢) ط دار الكتب العلمية، وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٤٦ ب برقم: ٣٧٩٣) ط دار الفكر.

نعوذ بالله أن نكون من هؤلاء، ورزقنا الله حسن الاستعداد لاستقبال رمضان.

* * *

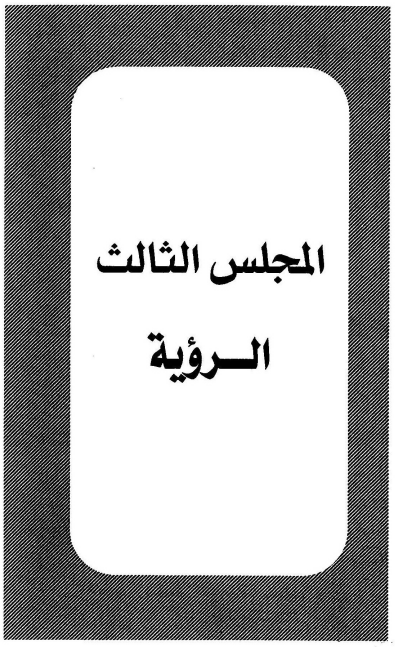

المجلس الثالث
الرؤية

الرؤية: هي النظر والإبْصار، بعين أو بصيرة[١].

والهلال: هو غُرَّة القمر، قال ابن منظور: والهلال غُرَّة القمر حين يُهِلُّه الناس في غرة الشهر، وقيل: يُسَمَّى هلالاً لليلتين من الشهر، ثم لا يُسَمَّى به إلى أن يعود في الشهر الثاني، وقيل: يُسَمَّى به ثلاث ليال ثم يُسَمَّى قمرًا، قال أبو إسحاق: الذي عندي وما عليه الأكثر أن يسمى هلالاً ابن ليلتين، فإنه في الثالثة يتبين ضوءه، والجمع أهلة، وأهللنا شهر كذا رأينا هلاله، وأهل الشهر واستهل ظهر هلاله وتبين، قال أبو العباس: وسمي الهلال هلالاً لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه[٢].

والمراد برؤية الهلال في الشرع: مشاهدته بالعين بعد غروب شمس يوم التاسع والعشرين من الشهر السابق ممَّن يُعْتَمَدُ خَبَرُه وتُقْبَلُ شهادته، فيثبت دخول الشهر برؤيته[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٧٢).
(٢) لسان العرب لابن منظور (١١/ ٧٠٣).
(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٢/ ٢٣).

الحسابات الفلكية و تحديد رؤية الهلال:

ونتكلم عن مدى جواز اعتماد الحساب الفلكي بدلا من الرؤية البصرية لتوحيد بداية شهر رمضان في كل الأقطار التي يعيش بها المسلمون.

يجب علينا أوّلا أن نعلمَ أنَّ الإسلامَ لا يصادم العلم، ولا يَقِفُ حَجَرَ عثرة في طريقه، بل إنَّ الإسلام حَثَّ على التعلُّم، وإعمال الفكر والنظر في الكون، واستخلاص النظريات الكونية التي تفيد الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ١٠١) ويقول سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

وعلم الفلك من العلوم التي دعا القرآن إلى معرفتها وتعلمها؛ لدراسة الظواهر الكونية، ومعرفة أسرارها، من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ (الإسراء: ١٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٣٨ ـ ٤٠).

ولقد عرف المسلمون علمَ الفلك، وتمكَّنوا من جميع معادلاته، ووظَّفوه لخدمة دينهم، فقاموا بحساب الفجر، والشروق، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وأصبح المؤذِّن يُؤَذِّن بعد أن ينظر في ورقة مكتوب فيها مواقيت الصلاة طبقًا للحسابات الفلكية، وترك المسلمون الاسترشاد بوضع عود في الأرض والنظر إلى ظِلِّه، وقد يحتاج الإنسان وضع العود والنظر إلى ظله في حالة فقده للساعة أو لعدم علمه بمواقيت الصلاة، فالشرع جاء بالميسور والمتاح لكل الخلق، لأنه دين عالمي ودين رب العالمين، ولا يعني هذا أن تحديد مواقيت الصلاة والصوم بالحسابات الفلكية مخالفة للمنهج النبوي، والغريب أننا لا نجد خلافًا في قضية الصلاة، والخلاف يَشْتَدُّ في قضية الصوم رغم أن الصلاة أهم من الصوم.

أمَّا ما يخصُّ صومَ رمضان فالرؤية البصرية للهلال هي الأصل في إثبات أوائل الشهور العربية كافة، بما فيها رمضان.

ولا شك أن الهلال ظاهرة كونية ثابتة لا خلاف حول إمكان رؤيتها بالعين المجردة إذا تحقَّقَتْ شروط الرؤية البصرية، فضلاً عن إمكان تحقق الرؤية بالوسائل العلمية المؤكدة التي تم الإجماع عليها، وأصبحت الآن معلومة عند

أهـل الاختـصاص، وقـد عرفهـا المسلمون وغـيرهم؛ لأن ميلاد الهلال حقيقة علمية يقينية بالإجماع عند علـماء الفلـك والحساب، وليست ظنية.

وقد سُئل الشيخ السبكي ـ رحمه الله ـ فيمن شـهد برؤيـة الهلال منفردًا بشهادته واقتـضى الحسابُ تكذيبَـه، فأجـاب بكلام طويل الشاهد منه قوله: «ههنا صورة أخرى، وهو أن يَدُلَّ الحساب على عدم إمكان رؤيته، ويدرك ذلك بمقدمات قطعية، ويكون في غاية القرب من الشمس، ففي هذه الحالة لا يمكن فرض رؤيتنا له حِسًّا؛ لأنه يستحيل، فلو أخبرنا بـه مخبر واحـد أو أكثـر ممـن يحتمـل خـبره الكـذب أو الغلـط، فالذي يتَّجِه عدم قبـول هـذا الخبر وحمله عـلى الكـذب أو الغلط، ولَو شهد به شاهدان لم تقبل شهادتهما؛ لأن الحساب قطعي والشهادة والخبر ظنيَّـان، والظـنُّ لا يعـارض القطـع فضلاً عن أن يُقَدَّمَ عليه، والبيِّنة شرطها أن يكون ما شهدت به ممكنًا حسًّا وعقلاً وشرعًا، فإذا فرض دلالة الحساب قطعًا على عدم الإمكان، استحال القبول شرعًا لاستحالة المشهود به، والشرع لا يأتي بالمستحيلات»[1].

لذا نرى أنَّ الأَوْلى الأخذ بالحسابات الفلكية؛ حيث إنهـا

(١) فتاوى السبكي، لتقي الدين السبكي، ج١ ص ٢٠٩.

أصبحت خاضعة لعلوم تجريبية قطعية مما يجعـل الأخـذ بهـا يفيد القطع -كما مَرَّ- أمَّا رؤية الشهود البـصرية بـالعين المجـردة فقد ورد به النَّص، ولذا فهـي مظنونـة لاحـتمال وجـود عوائـق تحـول دون رؤيـة الهـلال بالرؤيـة البـصرية، ممـا يقـدِّم الأخـذ بالحسابات الفلكية عند التعارض، والله تعالى أعلى وأعلم.

* * *

المجلس الرابع

أحكام الصيام

المجلس الرابع
أحكام الصيام

نتكلم عن باب من أبواب الفقه الإسلامي، وهو باب الصوم، وحتى نعرف حقيقة الصوم وأحكامه لابد أن نتعلم عددا من الأمور حول الصيام.

هذه الأمور هي: معناه لغة وشرعا، والدليل على فرضيته، وشروط وجوبه، وأركانه، وما يبطل الصيام، وما يجب على من بطل صومه، أو أفطر في نهار رمضان.

كما ينبغي له أن يعرف ما يتصل بشهر رمضان من الأحكام كصوم التطوع، والاعتكاف.

الصوم والصيام لغة: مصدران معناهما الإمساك.

وشرعًا: إمساك عن مفطر جميع النهار بنيَّةٍ مخصوصة من مسلم عاقل طاهر من حيض ونفاس.

والدليل على فرضيته: آيات من الكتاب العزيز: قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن**

تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون * شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾.

وأما شروط وجوبه فهي:

١ - الإسلام.

٢ - البلوغ.

٣ - العقل.

٤ - القدرة على الصوم.

فلا يجب الصوم على المتَّصِفِ بأضداد هذه الشروط.

أركان الصوم:

١ - النية: بالقلب فإن كان الصوم فرضًا كرمضان أو نذرًا، فلا بد من إيقاع النية ليلا، ويجب التعيين في صوم الفرض كرمضان، وأكمل النية في الصوم أن يقول الشخص: **«نويت صوم غد عن أداء فرض رمضان هذه السنة لله تعالى»**.

٢ - الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وتعمد القيء:

سواء قل المأكول والمشروب عند التعمد أو كثر، فإن أكلَ أو شربَ ناسيًا وكذا إن كان جاهلا، لم يضره ذلك، ويتم صوم يومه، إلا أنه يشترط في الجاهل أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ بعيدًا عن العلماء، فإن تَوَفَّرَ فيه هذان الشرطان أفْطَرَ، كما يجب الإمساك عن الجماع، أمَّا إذا جامع ناسيًا فكالأكل والشُّرْب ناسيًا، وكذلك إن غلبه القيء ولم يتعمَّدْه لم يَبْطُلْ صومه.

٣- الممسك: وهو الشخص الصائم، وعُدَّ الصائم رُكنًا في الصيام ولم يُعَدَّ المصلي رُكنًا في الصلاة؛ لأن الصوم ليس له صورة محسوسة في الخارج يحكم بها على الصائم بالصيام، بخلاف الصلاة فإن لها صورة مرئية في الخارج يحكم بها على المصلي أنه في الصلاة.

* * *

المفطرات

ويبطل الصوم بعشرة أشياء:

١ ـ وصول الشيء عمدا إلى الجوف: المنفتح أصالة، كالفم أو الأنف، أو عرضًا بواسطة الجرح كوصول عين الجرح إلى الجوف مثلا.

٢ ـ إدخال دواء في أحد السبيلين: بحقنة أو غيرها.

٣ ـ **القيء عمدًا**: وإن تيقَّن أنه لم يعد منه شيء إلى الجوف فإن لم يتعمَّده كأن غلبه مثلا لم يبطل صومه.

٤ ـ **الوطء عمدًا**: في الفرج ولو في الدبر، وإن لم ينزل، ولا يفطر الصائم بالجماع ناسيًا وإن كَثُرَ.

٥ ـ **الإنزال**: وهو خروج المَنِيِّ الناشئ عن مَسِّ البشرة بدون حائل سواء كانت مباشرة محرَّمة في الأصل كالاستمناء، أو مباح كالاستمناء بيد الزوجة، ولا يفطر بخروجه بالاحتلام لأنه ليس من مباشرة.

٦ ـ **الحيض**: فلا تصوم الحائض، ولكن يجب على المستحاضة الصوم، وهي من ترى الدم في غير أيام حيضها المحددة.

٧ ـ **والولادة**.

٨ ـ **النفاس**: لأنه مثل الحيض في الحكم.

٩ ـ **الجنون**: لأن المجنون ليس أهلا للتكليف.

١٠ ـ **الرِّدَّة**: أعاذنا الله منها، فمتى طَرَأَ شيء منها في أثناء الصوم أبْطَلَه.

* * *

مستحباته

ويستحب أشياء منها:

١ ـ **تعجيل الفطر**: يستحب للصائم تعجيل الفطر إن تحقَّقَ من غروب الشمس، فإن شَكَّ في غروب الشمس فلا يُعجِّل الفطر ويُسَنُّ أنْ يُفْطِرَ على تمر، وإلا فماء.

٢ ـ **تأخير السحور**: ويستحبُّ له تأخير السحور ما لم يقع في شك، ويحصل السحور بقليل الأكل والشرب، فلا يشترط فيه طعام معين.

٣ ـ **ترك الهجر**: أي الفُحْشِ من الكلام الفاحش، فيصون الصائم لسانه عن الكذب والغيبة، ونحو ذلك كالشتم، وإن شتمه أحد فليقل مرتين أو ثلاثا إني صائم إمَّا بلسانه كما قال النووي في الأذكار[1]، أو بقلبِه كما نقله الرافعي عن الأئمة واقْتَصَرَ عليه.

٤ ـ **ترك الشهوة**: التي لا تبطل الصوم كشَمِّ الرَّيَاحِين ونحوها.

٥ ـ **اغتسال عن حدث أكبر**: ليكون على طهارة من أول صومه.

---

(١) الأذكار للنووي (١/ ١٨٩).

٧ ـ **الإكثار من تلاوة القرآن ومدارسته.**

٨ ـ **الاعتكاف:** لا سِيَّما في العشر الأخيرة منه.

* * *

ما يحرم صومه

ويحرم صوم خمسة أيام:

١ ـ **العيدان:** وهما يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى.

٢ ـ **أيام التشريق:** وهي الثلاثة التي بعد يوم النحر.

٣ ـ **ويكره تحريمًا صوم يوم الشَّكِّ:** بلا سبب يقتضي صومه، كأن يوافق عادةً له في تَطَوُّعِه، فمن كانت عادته صيام يوم وإفطار يوم، فوافق صومه يوم الشك فلا شيء عليه، وله صيام يوم الشك أيضا عن قضاءٍ ونَذْرٍ، ويوم الشك هو يوم الثلاثين من شعبان إن لم يُرَ الهلال ليلتها، وكان الجَوُّ صَحْوًا أو تحدَّثَ الناس برؤيته، ولم يُعْلَمْ عَدْلٌ رآه ولم يشهد برؤيته صبيان.

* * *

الكفارة والقضاء:

يتعلَّق بأحكام الصوم أحكام خاصة للقضاء والكفارة، وذلك لِمَنْ أَفْطَرَ عمدًا أو لعذر، وهو ما يتَّضِحُ على النحو التالي:

١ ـ **من وطئ عمدا في الفرج في نهار رمضان:** وهو مُكَلَّفٌ بالصَّوْمِ ونوى من الليل، فهو آثمٌ بهذا الوطء لأجل الصوم، وعليه القضاء والكفارة، وهي عتق رقبة مؤمنة

(وقد زالت الرقاب بعد تحرُّرِ العبيد بموجب اتفاق عالمي) فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع صومهما، فإطعام ستين مسكينًا أو فقيرًا لكل مسكين مُدٌّ (وهو رطل وثلث بالبغدادي، وبالكيل المصري نصف قدح) أي مما يجزئ في صدقة الفطر، فإن عجز عن الجميع استقرَّت الكفارة في ذمته، فإذا قدرَ بعد ذلك على خصلة من خصال الكفارة فعلها.

٢ ـ **الشيخ الهرم والعجوز والمريض الذي لا يرجى بُرْؤه:** إذا عجز كل منهم عن الصوم بحيث تلحقُه مَشَقَّةٌ شديدة لا تُحْتَمَلُ عادة يفطر، ويطعم عن كل يوم مُدًّا، ولا يجوز تعجيل المُدِّ قبل رمضان ويجوز بعد فجر كل يوم من رمضان.

٣ ـ **الحامل والمرضع:** إن خافتا على أنفسهما ضررًا يلحقهما بالصوم كضَرَرِ المريض أفطرتا، ووجب عليهما القضاء، وإن خافتا على أولادهما أي إسقاط الولد في الحامل وقِلَّةُ اللبن في المُرْضِع أفطرتا، ووجبَ عليهما قضاء الصوم والكفارة، والكفارة أن يخرج عن كل يوم مُدًّا.

٤ ـ **المريض والمسافر سفرًا طويلا مباحًا:** إنْ تَضَرَّرَا بالصوم يُفطران ويقضيان، وللمريض إن كان مرضُه مُطْبِقًا تَرْكُ النِّيَّةِ من الليل، وإن لم يكن مُطْبِقًا كما لو كان مصابا بالحمى مثلا، وكانت نوبة الحمى تأتيه وقتا دون وقت،

وكان وقت الشروع في الصوم محمومًا فله تَرْكُ النية، وإلا فعليه النية ليلاً، فإنْ عادَت الحُمَّى واحتاج إلى الفطر أفطر.

٥ ـ من مات وعليه صوم ما فاته من أيام رمضان: كمن أفطر فيه لمرض ولم يتمكَّنْ من قضائه كأن استمرَّ مرضُه حتى مات فلا إثمَ عليه في هذا الفائت، ولا تَدَارُكَ له بالفِدْيَة، وإن فات بغير عذر ومات قبل التَّمَكُّن من قضائه أُطْعِمَ عنه، أي أخرج الولي عن الميت مِنْ تركتِه لكلِّ يوم فائت مُدَّ طعام، وهو القول الجديد للشافعي بعد أن كان يقول في قوله القديم لا يتعيَّن الإطعام، بل يجوز للولي أيضًا أن يصوم عنه، بل يُسَنُّ له ذلك.

* * *

صوم التطوع

يستحبُّ للشخصِ أنْ يَتَقَرَّبَ إلى الله بصيام أيام أُخَرَ غير شهر رمضان تطوعًا:

- فيُسَنُّ له صوم عرفة، وهو تاسع ذي الحجة.
- وتاسوعاء، وعاشوراء، وهما تاسع المحرم وعاشره.
- وأيام الليالي البيض، وهي الثالث عشر وتالياه.
- وستة من شوال.
- ويوم الاثنين والخميس.

* * *

أحكام الاعتكاف

وهو لغة: الإقامة على الشيء من خير أو شر.

وشرعًا: إقامة بمسجد بصفة مخصوصة.

والاعتكاف سُنَّةٌ مستحبَّة في كل وقت، وهو في العشر الأواخر من رمضان أفضل منه في غيره، لأجْلِ طلب ليلة القدر، وهي عند الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ منحصرة في العشر الأخيرة من رمضان، فكل ليلة محتملة لها لكن ليالي الوتر أرجاها، وأرجى ليالي الوتر ليلة الحادي أو الثالث والعشرين.

شروط الاعتكاف

وللاعتكاف شروط هي:

١) **النية:** أن ينوي في الاعتكاف المنذور الفرضية أو النذر.

٢) **اللبث في المسجد:** ولا يكفي في اللبث قدر الطمأنينة بل الزيادة عليه بحيث يُسَمَّى ذلك اللبثُ عكوفًا.

٣) **المعتكف:** بشروطه التي سنذكرها.

٤) **المسجد:** والمسجد الجامع الذي تقام فيه صلاة الجمعة أفضل من غيره لئلا يحتاج للخروج لصلاة الجمعة.

شروط المعتكف

١) الإسلام.
٢) والعقل.
٣) و النقاء من حيض أو نفاس وجنابة.

فلا يَصِحُّ اعتكاف الكافر والمجنون والحائض والنُّفَسَاءِ والجُنُبِ، ولو ارْتَدَّ المعتكف عن الإسلام أو سَكِرَ بطل اعتكافه.

ما يخرج المعتكف عن اعتكافه

ولا يخرج المعتكف من الاعتكاف المنذور إلا لحاجة الإنسان، من بول، وغائط، وما في معناهما كغسل جنابة أو عُذْرٍ من حيض أو نفاس، فتخرج المرأة من المسجد لأجلهما، أو لعذر من مرض لا يمكن المُقام معه في المسجد، بأن يحتاج لفرش وخادم وطبيب أو يخاف تلويث المسجد كإسهال وإدرار بول.

أمَّا المرض الخفيف الذي لا يحتاج إلى ذلك، فلا يجوز الخروج من المسجد بسببه، أما الاعتكاف المطلق سواء أكان مندوبًا أو واجبًا فإنه يجوز فيه الخروج، ولو بغير عذر لكن ينقطع اعتكافه، ويجدِّد النيَّة عند عودته إنْ لمْ يَعْزِمْ على العودة عند خروجه، فإن عَزَمَ كان هذا العزم قائمًا مقام النيَّة.

مبطلات الاعتكاف

ويبطل الاعتكاف بالوطء مختارًا ذاكرًا للاعتكاف عالمًا بالتحريم، وأمَّا مباشرة المعتكف امرأته بشهوة كلمس وقُبلة، فتبطل اعتكافه إنْ أنْزَلَ، وإنْ لمْ يُنْزِلْ لم يبطل اعتكافه.

* * *

المجلس الخامس

أنواع الصوم

ودرجاته

المجلس الخامس
أنواع الصوم ودرجاته

أنواع الصوم ودرجاته:

للصوم ثلاث درجات، وهكذا أبدًا كل شيء له منزلة عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولأنَّ هناك منازل للشيء الواحد فهناك درجات تختلف وتتفاوت، ويختلف المدخل إليها، فهناك من التزم بالشعائر ظاهرًا، وهناك من التزم بها وقد زاعى وراقب الله فيها، وهناك من عرف الحقيقة ووصل إلى أصل لا حول ولا قوة إلا بالله، وفهم أنه لا يكون في كونه إلا ما أراد.

فالأول منغمس في الأسباب.

والثاني: يراعي خالق الأسباب.

والثالث: يعود مرة ثانية فيرى الله في كل شيء.

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه واحد

فأنواع الصوم ثلاثة: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص، ولكلٍ درجات، فالعوام ليسوا على درجة واحدة ولا مرتبة واحدة، والخصوص كذلك، وخصوص الخصوص كذلك، حتى قال بعض العلماء: إنَّ

كلَّ إنسان له عند ربِّه مرتبة تختلف عن الأخرى، وهذا التقسيم لدرجات الصوم كما نقسم الحديث إلى صحيح، وإلى حسن، وإلى ضعيف.

أمَّا صوم العموم: فكَفُّ البَطْنِ والفَرْجِ عن قضاء الشهوة.

فكلُّ مسلم امتنع عن الطعام والشراب والشهوة يصبح صائمًا، ولا يستطيع أحَدٌ أن يقولَ عنه إنه غير صائم، مثل شخص يصلي رأيته توضَّأ فأحسن الوضوء، وذهب فكبَّرَ وقَرَأَ وركع وسجد، هل تستطيع أن تقولَ له أنت لم تُصَلِّ؟ لا، كذلك إذا سألته هل خشعت في صلاتك؟ سيقول لك: نعم.. لقد نظرت إلى موضع السجود، ووضعت يدي اليمنى على اليسرى، ولم ألتفت وقرأت بتدبُّر واطمأنَنْتُ في صلاتي.

هذا الشخص تستطيع أن تصفَه بالخاشع في صلاته، أما الآخر فكثير الحركة يلتفت يمنى ويُسرى، وهذا يُنافي الخشوع لكنَّ صلاتَه صحيحة، ويَصْدُقُ عليه أنَّه ليس بخاشع وكل هذا يدخل في جانب العموم.

وأمَّا صوم الخصوص: فهو كَفُّ البصر والسَّمْع واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، حتى ولو وقع في غِيبَةٍ أو غيرها فإنه يستغفر ويعود، فصيامه صحيح، وسقط عنه الفرض، ولا نطالبه بالقضاء؛ فهو لم يعتبر الصيام فقط

صيامَ شهوتي البطن والفَرْجِ، بل الصيام عن الآثام والمعاصي أيضًا، يَحْبِسُ نفسَه عنها ويُبَعِّدُ نفسه لله.

وأمَّا صوم خصوص الخصوص: فصوم القلب عن الهِمَمِ الدَّنِيَّةِ والأفكار الدنيوية وكَفُّه عمَّا سِوى الله بالكليَّة، فتراه متوكلاً على الله، يَعْلَمُ أنَّه لا يكون في هذا الكون إلا ما أراد الله، وخَلَّى قلبَه ممَّا سِوَى الله، فلا يحب ولا يعتمد ولا يتوكَّل ولا يَلْتَفِتُ ولا يحزن ولا يفرح بأحدٍ سوى الله؛ وهل هذا أمر صعب؟

لا.. لأنَّ هؤلاء فهموا معنى الصوم وحقيقته، بل فهموا معنى الدنيا كلها من أنه ليس لنا إلا ربنا فخَلُّوا أنفسَهم ممَّا سوى الله، وهذا يتطلَّب تدريبًا ومقاومةً للنَّفْسِ الأمَّارة بالسوء ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (يوسف:٥٣) فالناس على درجات ثلاث تجدُهم كذلك في الصيام وفي الزكاة وفي الحج وفي كُلِّ أفعال الخير.

ولنأخذْ مِثَالاً على الإخلاص والإتقان، فخليل بن إسحاق الجندي جلس في الأزهر الشريف لا يخرج عشرين سنة حتى انتهى من كتابه المختصر في فقه المالكية، وهذا الكتاب يطبع إلى الآن، ومترجم للفرنسية والإنجليزية، وهو متوفى من ٨٠٠ سنة تقريبًا، يقول في كتابه: «**النظر إلى الحرام حرام**» جملة بسيطة لكنها لخَّصَتْ كلَّ شيء النظر إلى الحرام

حرام، فلما جاء الشرَّاح ليوضحوا ويُبيِّنُوا هذا الكلام، ما معنى أن النظر إلى الحرام حرام؟

قالوا: هذا يَشْمَلُ أمورًا كثيرة جدًّا منها مثلاً كل مكان يحرم النظر إليه من الجسد إذن يجب تغطيته لأن النظر إلى الحرام حرام، كذلك يحرم النظر إلى الخمر فخليل يقول: النظر إلى الحرام حرام.

ويُكْرَه النظر إلى الأشياء النَّجِسَةِ القذرة لأنها من القبائح، والنظر إليها يؤثِّرُ في النَّفْسِ بدليل قول الله تعالى على لسان فتية الكهف: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ (الكهف:١٩) فالتذوق الجميل جميل، والنظر الجميل جميل، والصوت الجميل جميل، وكان رسول الله ﷺ يحبُّ الصوتَ الجميل فعنْ أبي محذورة قال: «لَمَّا رجع النبي ﷺ من حُنين، خرجت عاشر عشرة من مكة نطلبهم، فسمعتهم يُؤَذِّنُون للصلاة، فقمنا نُؤَذِّنُ نستهزئ، فقال النبي ﷺ: لقد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسنَ الصوت، فأرسل إلينا، فأذَّنَّا رجلاً رجلاً، فكنت آخرهم، فقال حين أذنت: تعال، فأجلسني بين يديه، فمسح على ناصيتي، وبارك علي ثلاث مرات، ثم قال: اذهب فأذِّنْ عند البيت الحرام، قلت: كيف يا رسول الله؟

فعلمني الأولى كما يؤذِّنون بها، وفي الصبح الصلاة خير من النوم وعلمني الإقامة مرتين مرتين»[1] الحديث.

واختاره مُؤَذِّنًا له في مكة، فظلَّ أبو محذورة يؤذِّن بمكة للمسلمين حتى بعد ما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، إلى أن تُوفِّي أبو محذورة سنة تسع وخمسين.

والشَّاهد أنَّ النظر إلى الأشياء الجميلة جمال، وسماع الأصوات الجميلة جمال كذلك، والنظر إلى القبيح مكروه، والنظر إلى الحرام حرام، فغَضُّ البَصَرِ ليس عن المحرمات فقط، غض البصر عن المحرمات هذا للعوام، وهو شيء طيب وحسن، وطلبه الشرع منَّا، ولكن هناك أرقى وأعلى منه رتبة، وهي كفُّه عن الاتِّساعِ في النَّظَرِ، فلا ينظر إلى العورات ولا إلى الحرام، وهذا سَمْتُ الصالحين، وهناك أرقى وأسمى وأرفع من ذلك منزلةً وهو عدم النظر إلى كل ما يشغل القلب من المنظور مما يدفعك إلى الشهوات ويؤدِّي بك إلى الاضطرابات.

الثاني حفظ اللسان: بعد حفظ الحاسَّةِ الأولى وهي العين، فحفظ اللسان يكون بصيانته عن هذيان الكلام من الكذب

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (ج٢/ ٨ برقم: ٦٣٣) ط مكتب المطبوعات الإسلامية، وأخرجه أحمد (ج٣/ ٤٠٨ برقم: ١٥٤١٣) ط مؤسسة قرطبة.

والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء الجدال، ولنا في رسول الله أسوة حسنة فهو القائل: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا»[1] وقد حذر من تعلَّم العلم لتباهى به العلماء وتماري به السفهاء[2] ففي الحديث الثاني نَهانَا أنْ نتعلَّم العلم لمجرَّد أن يكون أحدُنا مساويًا للعلماء أو ليفوقَهم، أو يكون أفضل منهم، بل يجب أن يكون العلم لله عزَّ وجلَّ.

الثالث كَفُّ السمع: فسمعك لا بدَّ أن يتنزَّه عن الأمور القبيحة فيَكُفَّ عن الإصغاء إلى كل مكروه، لأنَّ كلَّ ما حَرَّمَ قوله حَرَّمَ الإصْغَاءَ إليه.

وقد وَضَعَ الإمام الغزالي المتوفى سنة: ٥٠٥ هـ قبل الشيخ خليل، قاعدة وهي: "كل ما حَرُمَ قوله حَرُمَ سماعه" والنظر إلى الحرام حرام، إذن فالتلفظ بالحرام حرام، والاستماع إلى الحرام حرام، والنظر إلى الحرام حرام؛ لذلك سوَّى الله ـ عز وجل ـ بين السَّمْع وأكل السُّحْتِ فقال: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) (المائدة:٤٢) انظر إلى

(١) أخرجه أبو داود (ج٤/ ٢٥٣ برقم: ٤٨٠٠) ط دار الفكر، والطبراني في الكبير (٨/ ٩٨، برقم: ٧٤٨٨) ط مكتب العلوم والحكم.
(٢) أخرجه الترمذي (ج٥/ ٣٣ برقم: ٢٦٥٤) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه ابن ماجه (ج١/ ٩٦ برقم: ٢٦٠) ط دار الفكر.

هذا الاستدلال، فهؤلاء عندما يقرؤون القرآن فإن أحدهم يقرؤه بروح الفاهم العالم، فهذا ممَّا فتحَ الله به على قلوب العلماء عبر التاريخ.

الرابع: كف بقية الجوارح: عن الآثام من اليد والرجل، وعن المكاره، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار، فلا تأكل طعامًا فيه شبهة حرام أو شك.

الخامس: لا يستكثر من الطعام الحلال: لأنك في شأن الصيام تتخفَّف من الطعام حتى لا يكون سببًا في الكسل عن العبادة، السادس أن يكون قلبه بعد الإفطار مضطربًا بين الخوف والرجاء، إذْ ليسَ يَدْرِي أيُقْبَلُ صومُه فهو من المقرَّبين، أو يُرَدُّ عليه فهو من الممْقوتين، فعندما يطَّلع الله على قلبك وأنت على هذه الحال فإنه يَقْبَلُكَ إنْ شاء الله.

ورمضان – أيها المسلم ــ فرصة عظيمة لإصلاح النفس والحال مع الله، والعودة إلى الفرقان والوضوح، فتكون فارقا بين الحق والباطل، جامعا لخصال الخير، نبيلا في صفات الأخلاق، وهذه أخلاق ميسورة ييسرها الله على من أراد، قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة:١٨٥).

فهذه الأخلاق ميسورة لأن الله قد أرادها بنا، فهذه الآية هي عنوان شريعتنا، فاليسر ورفع الحرج، والمشقة تجلب التيسير،

هذه القواعد والمبادئ نتذكرها في رمضان والناس تجوع لله، وتترك عاداتها لله، وتعيش في هذا الجو الذي نرجو أن يكون جوا رحمانيا وليس جوا شيطانيا كما أراده الأبالسة له.

فاحذر أيها المسلم أن تقضي ساعات صيامك في الجو الإبليسي بحجة تسلية الصيام، سلي صيامك بذكر الله، والدعاء واعلم أن الله حرم عليك ما أباحه في غير الصيام من الطعام والشراب والشهوة المباحة، فمن باب أولى أن تتجنب ما حرمه عليه، ولم يبحه في وقت من الأوقات كالنظر إلى المحرمات والإثارة، والضجيج هناك وهناك.

ويعقب الله آيات الصيام بآية الدعاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦)، وفيها إشارة ربانية لطيفة إلى مكانة الدعاء بصفة عامة، ومكانته في رمضان بصفة خاصة، قال النبي ﷺ: «للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة»[1].

* * *

(١) أخرجه الطيالسي (ج١/ ٢٩٩ برقم: ٢٢٦٢) ط دار المعرفة بلفظه، وأخرجه ابن ماجه "ج١/ ٥٥٧ برقم: ١٧٥٣)ط دار الفكر بلفظ" إن للصائم عند فطره لدعوة ماترد".

المجلس السادس

ماذا أفادنا شهر رمضان المبارك؟

المجلس السادس

ماذا أفادنا شهر رمضان المبارك؟

شهر رمضان فيه تهيئة وإفادة لما نجده فيه من لَذَّةِ العبادة في قلوبنا؛ فالإنسان عندما يشعر بلذَّة العبادة تكون له تجربة مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذه التجربة يرجع بها ويرجع إليها الإنسان كلَّما طال به العهد، وهذا معنى كلام النبي ﷺ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الصَّلاةُ الْمَكْتُوبَةُ إِلَى الصَّلاةِ الَّتِي بَعْدَهَا كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا**» وقَالَ: «**وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَالشَّهْرُ إِلَى الشَّهْرِ يَعْنِي رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا**»(١).

فرمضان في الحقيقة محطة نفحات كما علمنا النبي ﷺ، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «**افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم، وأن يؤمن روعاتكم**»(٢).

رمضان يهيئ جوًّا للمسلم يعيش فيه هذه التجربة

(١) أخرجه أحمد (ج٢/ ٢٢٩ برقم: ٧١٢٩) ط مؤسسة قرطبة.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (ج١/ ٢٥٠ برقم: ٧٢٠) ط مكتب العلوم والحكم.

الروحية مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ في صورة الصلاة، في صورة الصيام، في صورة القيام، في صورة التلاوة، في صورة الذِّكْرِ، في صورة الدعاء.

وكل هذا الجو الذي يكون معه أيضًا صورة النفقة والزكاة، وكل هذا الجو الذي قد يضاف إليه الاعتمار إلى بيت الله الحرام؛ فعَنْ أُمِّ مَعْقِلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً**»(١).

وفي رواية النسائي: عن ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لامْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ: «**إِذَا كَانَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي فِيهِ؛ فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً معي**»(٢)، يعني كلمة معي زيادة في رواية الإمام النسائي.

لقد أفادنا رمضان في أن ندخل هذه التجربة؛ والحقيقة أن الإنسان في أيام الأشهر الأخرى غير رمضان يلاحظ أن برنامجها مختلف عن رمضان وأن الذي أعانه على الذِّكْرِ وأعانه على التلاوة وأعانه على العبادة، وهذه التجربة كلها

(١) أخرجه البخاري(ج٢/ ٦٣٢ برقم: ١٦٩٠) ط ابن كثير اليمامة بلفظ " فإن عمرة في رمضان حجة "، وأخرجه مسلم(ج٢/ ٩١٧ برقم: ١٢٥٦) ط إحياء التراث العربي واللفظ له.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (ج٢/ ٦٧ برقم: ٢٤٢٠) ط دار الكتب العلمية.

كان هو البرنامج الذي عاشه هو والمسلمون جميعًا في إطار هذا الشهر الكريم، فما الذي علينا أن نفعلَه حتى تستمرَّ هذه النَّفَحَاتِ، وحتى تستمرَّ هذه البركات في رمضان أو التي كانت في رمضان؟

ينبغي علينا أن نهيِّئَ أنفسَنا، كل بحسبه، برنامجًا نستطيع فيه أن نحافظ على الصلوات في الجماعة كما كان الشأن في رمضان، وأن نحافظ على حِصَّةٍ من القرآن كوِرْدٍ يومي، كما كان الشأن في رمضان، قد نكون خَتَمْنَا القرآن مَرَّةً أو اثنتين أو ثلاث وفقًا لما فتح الله علينا به في رمضان، لكن لا بأس أن يُخْتَمَ مرَّةً واحدةً في كلِّ من الشهور، والمسلمون الأقدمون جَزَّأوا القرآن إلى ثلاثين جزءًا من أجل أن ينهي الإنسان في كل يوم جزءًا منهم، وجعلوا كل جزء على حزبين من أجل أن يكون هناك حزب في النهار وحزب في الليل، يعني حزب يقرأه المسلم بعد صلاة الفجر، وحزب يقرأه بعد صلاة العشاء أو بعد صلاة المغرب أو في أي وقت يستطيع أن يعود نفسَه عليه، فالمطلوب من المسلم كثير جدًّا.

إن المسلمين يشتاقون لأن يعيشوا في هذا الجوِّ الرُّوحيِّ الجميل الذي كان.

ولكن كيف يصلون إلى هذا؟

لا بدَّ عليهم أن يُـدَرِّبُوا أنفسهم على برنامج ما؛ هذا البرنامج يتعاملون معه بقوة وصرامة في حياتهم المعتادة من أجل هذه الأشياء حتى ولو لم يكن الأمر على مقدار رمضان، لا يعني هذا أن يكون هذا التعود في رمضان فقط دون غيره من الشهور، لكن لا بد علينا أن تكون لنا حصة من القيام ولو أربع ركعات في كل ليلة، لا بدَّ أن تكون لنا حصَّة من القرآن ولو ربع واحد في اليوم؛ حتى لا نهجر القرآن، لا بدَّ أن تكون لنا حصَّة من الذِّكْرِ، لا بد أن تكون لنا حصة من كلِّ عبادة.

وقد وفَّقَنَا الله سبحانه إلى العبادة وأن نؤديها وأن نقوم بها في رمضان، وهذا أمر مهم للغاية فعلينا أن نلتفت إلى البرنامج اليومي، وندرك أن برنامج الأشهر المختلفة يختلف عن برنامج رمضان، ويجب علينا مزيد من العمل، مزيد من الإصرار، مزيد من الترتيب حتى نصل إلى الديمومة التي أحبَّها النبي ﷺ؛ فعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهَا ـ أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: **أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ وَقَالَ: اكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ**»[1].

(١) أخرجه البخاري (ج٥/ ٢٣٧٣ برقم: ٦١٠٠) ط ابن كثير اليمامة.

من الضروري أن نقول: لقد استفدنا من رمضان الكثير، ولكن يجب أن نذكر أنَّنا استفدنا من رمضان إعلان وحدة الأمة الإسلامية بصورة كاملة بحيث رأينا الجميع يستجيب لنداء الله وطاعة الله والإخلاص لله في عبادة هي أصلا عبادة الإخلاص لله.

فأوَّل ما أفدناه أن نظلَّ دائمًا نحن المسلمين موحِّدين موَحَّدين طائعين مستجيبين لله وللرسول، وهذا أمر يُعدُّ فرضَ عين للأمة الإسلامية وهي تواجه الأخطار فرض على الفرد في نفسه، وفرض على الأسرة، وفرض على المجتمع والحكومات.

أفدنا في رمضان أننا ظللنا جميعًا على مأدبة القرآن نستمع إليه، والقرآن يناديـنا بقوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾ (آل عمران:١٠٣).

أفدنا في رمضان من كتاب ربنا أننا نعلم أننا أمة رسالة، وأمة الرسالة لا بدَّ أن تؤدِّي واجبها في نفسها وفي العالمين.

ومن العَبَثِ الضَّالِّ أن تنسى هذه الأمة رسالتها وأن تتوكَّأ على كتف العالم وهي تبكي لتحلَّ مشاكلها.

إن رمضان سيشهد على الأمة الإسلامية وعلى واقعها شهادة كاملة صادقة؛ لأن الأيام كما تعلم تشهد، وكل يوم

يمرُّ عليك يقول: أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإني لا أعود إليك إلى يوم القيامة.

رمضان إذا عاد سيشهد على الأمة الإسلامية، سيشهد بما هو قائم، رمضان يناديا نحن المسلمين أن نترابط وأن نتوحَّد، وأن نصدق في حسن الاستجابة لله وللرسول، رمضان علَّمنا ألاَّ نقع أسْرى لأهوائنا؛ لأن الهوى مضيع، والهوى إن وجُد في إنسان فانتظر بعده الشؤم؛ ذلك أننا في رمضان تعلمنا أنه حتى الطعام والشراب الذي هو حلال لنا، وحتى المعاشرة للزوجة وهي حلال للزوج، علَّمنا أنْ نَعْلُوَ على هذه المطالب لنظلَّ في حياتنا كلها بعيدين عن الأهواء، لأن من استبد به الهوى عَبَدَ الهوى، كما قال الشاعر:

من استبد به الهوى عبد الهوى ومن استجاب لمنطق الحق اهتدى

منطق الحق أمرنا نحن المسلمين بحفظ القرآن وبيانه، وبقاء الرسول فينا بسنَّته، والأمة الإسلامية عليها أن تعلم بأنها مسؤولة مسؤولية كاملة عن سلام العالم كله وأمنه، ذلك أنها إن وجدت كانت هي الميزان وكانت هي العدل الذي يأوي إليه جميع الناس.

أمَّا أن تظلَّ الأمة الإسلامية تطلب إنصافها من غيرها

فإنها تكون قد أخطأت في حقِّ صيامِها وحقِّ كتاب ربها.

أفدنا من رمضان معالم يجب ألا تغيبَ أبدًا عن كلِّ مسلم حتى تُرِيَه أمَّةَ العَدْلِ التي يُسْتَجَارُ بها: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٦٠).

فما بالك إذا استجار بك رضيع يُذْبَح!!

وما بالك إذا استجارت بك امرأة ينتهك عرضها!!

وما بالك إذا استجارت بك أمة تشرَّدت في الشوارع لتحقيق أهواء الأمم المتسلِّطة التي لا تَتَّقِي اللهَ في نفسِها وفي العالم!!

غياب الأمة الإسلامية ونكوصها عن أداء واجبها هو الذي أوجد كل ذلك والمسؤول الأول في ذلك هو الأمة الإسلامية ذاتها.

خذ الدليل من كتاب ربك: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٣).

والفتنة والفساد الكبير في الأرض لم تُرَتِّبْه الآية على موالاة أهل الكفر بعضهم لبعض، وإنما رتَّبَتْه على عدم موالاة المؤمنين بعضهم لبعض؛ لأنهم المسؤولون عن وجود الفتنة في الأرض لتخلِّيهم عن أداء رسالتهم كما يجب أن تكون.

رمضان أعطانا كل هذه المعاني، ففي رمضان رآنا الناس جميعًا على مأدبة الرحمن؛ وحدة واحدة، وأمة كاملة، صامت لرؤيته وأفطرت لرؤيته، فرمضان علَّمَ الناس كل ذلك، وكل ذلك نحن في حاجة إليه في كلِّ لحظة من حياتنا وبالذات في الواقع المرِّ التَّعيسِ الذي تعيشُ فيه أمَّتُنا.

فأمة الإسلام مطلوب منها فَرْضًا بلا تأخير دقيقة واحدة، أن تستجيب لنداء الله كما استجابت للصيام عندما علمت أن الهلال قد ظهر، لماذا حُفِظَ القرآن فينا، أحُفِظَ ليُهْمَلَ؟

لماذا حُفِظ النبي بحديثه فينا: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ (آل عمران:١٠١).

أودُّ أنْ يعلمَ المسلمون جميعًا بلا استثناء حاكم ومحكوم، ورجل وامرأة، وكبير وصغير، وغني وفقير، أنَّ اجتماعَنا على كلمة سواء أصبح فرض عين لا يجب التخلُّفَ عنه دقيقة واحدة؛ لأنَّ القومَ قد كشفوا عن وجوههم، وعن خُطَّتِهم، وعما يريدونه بنا بلا مواربة، أرونا من أنفسهم أنهم لا يريدون إسلامنا، أو أنهم يريدون إسلامًا بتخطيط منهم، يُرَى فيه مسلمٌ مفرَّغ من كلِّ القيم إلا من مظهر عبادة، ولكن الإسلام ليس كذلك.

الإسلام عِزَّةٌ وكرامةٌ وسلامٌ للإنسانيَّة جميعًا، الإسلام

رحمة للعالمين، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

إنَّنا نرى بأعيننا جميعًا الإيذاء لسيِّدِ الخلق ﷺ الذي جاء برسالات الأنبياء جميعًا فنُنَكِّسُ رؤوسَنا وكأنَّ شيئًا لا يقع.

الحلُّ أوَّلاً في أيدينا وعلينا ونحن نتدبَّر القرآن قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١).

ما وقع فينا يجب أن نُرْجِعَ أمره إلى معاصينا، وعلينا أن نتَّقي اللهَ في أنفسنا، وأن نجعل رمضان بما أُنزل فيه حيٌّ بيننا في جميع الأحوال.

* * *

المجلس السابع

إشراقات قرآنية

المجلس السابع

إشراقات قرآنية

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة/ ١٨٣ـ١٨٥).

يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تبدأ الآية بلفظ الإيمان فإن الإيمان ـ وهو مرادف في الخارج[1] لما صَدَّقَ الإسلام فيكون شرطًا فيما سوف يخاطبنا فيه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ وكلمة كتب عليم أي فُرِضَ عليكم فهو واجب، والصيام ركن من أركان الدين لقول النبي ﷺ: «بُني الإسلام على خمس»[2] وعَدَّ منها صوم

(١) في الخارج: أي في الواقع الملموس.
(٢) أخرجه البخاري (ج١/ ١٢ ب برقم:: ٨) ط ابن كثير اليمامة.

رمضان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ فصيام رمضان يشترط فيه الإسلام، ومن شروط التكليف البلوغ، لكنه يصومه الذكر والأنثى، ويصومه الحر والعبد، ويصومه القوي والضعيف والغني والفقير، يصومه الجميع ولكن يشترط لوجوب صيامه: البلوغ، والإسلام، والعقل؛ حتى يدخل الإنسان في طور التكليف الذي خاطبنا الله به بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ ويريد الله تعالى أن يُبَيِّنَ لنا أن الصوم قد ورد في كل دين، وجاء بها كل نبي ورسول، وفرضت على كل من سبق من الأمم، كما وَرَدَتْ الصلاة والزكاة والحج، بالإضافة إلى الشهادتين في كل دين.

يقول تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فهدف الصيام "التقوى"، والطرق إلى التقوى كثيرة، فَفِعْلُ الخير المُتَعَدِّي من كتابة الوصية يُعَدُّ من التقوى، قال تعالى: ﴿حَقاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:١٨٠)، والصيام وهو فعلُ خيرٍ قاصر على الإنسان لا يتعدَّى لغيره يعد أيضًا من التقوى، فوسائل التقوى والطرق إليها كثيرة، منها ما هو قاصر على الإنسان ومنها ما يَتَعَدَّى خَيْرُه إلى غيره.

=
وأخرجه مسلم (ج١/ ٤٥ ب برقم:: ١٦) ط إحياء التراث العربي.

ومن رحمة الله عز وجل بنا أن قال: ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾ وليس أيامًا كثيرة، وهو يريد بذلك أن يُخَفِّفَ عنَّا مَشَقَّةَ الصوم، فلمْ يَفْرِضْ علينا صوم الدَّهْرِ كله حتى قال رسول الله ﷺ: «لا صام من صام الأبد»(١)، إلا إذا كان الصوم لغَرَضٍ فقد يكون مِنْ أجْل الحِمْيَة: أي وقاية الجسم من بعض الأمراض، وقد يكون الصوم لكسر الشهوة قال ﷺ «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٢) ولذلك نرى أن مِنَ العلماء مَنْ فَضَّلَ العلْم على الزواج، ومن هؤلاء العلماء الإمام النووي؛ فكان يصوم الدهر، وهو يعلم الحكمَ ولكن هذا صيام غير الصيام الذي يكون فيه الإنسان متزوجًا؛ ولذلك رأينا الإمام النووي يقول: "فيها اثنا عشر قولاً عند العلماء"، كان الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو عمدة الشافعية، كان يعبد الله كثيرًا بالصيام، وكان يأكل من طعام

(١) أخرجه البخاري (ج٢/ ٦٩٨ ب برقم:: ١٨٧٦) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/ ٨١٥ ب برقم:: ١١٥٩) ط إحياء التراث العربي.
(٢) أخرجه البخاري (ج٥/ ١٩٥٠ ب برقم:: ٤٧٧٨٩) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/ ١٠١٨ ب برقم:: ١٤٠٠) ط إحياء التراث العربي.

يرسله إليه أبوه وأمه في (نـوى)[1]، وظـل هكـذا عـلى هـذه الحال، فنفعَ الله المسلمين به إلى يومنا هذا، وهو مؤلَّف كتاب "رياض الصالحين"، و"رياض الصالحين" عليه أنوار تتلألأ من حديث رسول الله ﷺ ومن اختيـار الإمـام النـووي بـما يثبت أن رجلاً واحدًا قد وَضَعَ اللهُ نورَه في قلبه ينفـع الله بـه الناس هذه الأيـام الطويلـة، والقـرون المتطاولـة، والجميـع يتفقون على أنه كان تقيًّا نقيًّا ورعًا عالمًا مفيدًا، وكل ذلك من بركة الصيام، حتى إن بعضهم قال:

لقـيت خـيرًا يـا نـوى ... ووقيـــت مـــن ألم النـــوى
فلقـــد نـشا بـك عـالم ... لله أخـلـــص مـــا نـــوى
وعلاه وفضَّـله فـضل ... الحبـــوب عـــلى النـــوى

كأنما هو تمر والبـاقي نـوى، وقـبره معـروف في "نـوى" وهي على بُعْدِ ستين كيلو مترًا من دمشق، وفيه مـن الآيـات والأنوار أن الله قد أنبت شجرة من قلبه في القـبر فالحمـد لله رب العالمين.

(١) (نوى) المذكورة (وهي بحذف الألـف بـين الـواوين عـلى الأصـل، ويجوز كتبها بالألف على العادة) بلدة الإمـام النـووي وإليهـا ينـسب، وهي قاعدة الجولان الآن من أرض حوران من أعمال دمشق، وأقام بها نحوًا من ثمانية وعشرين سنة.

﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾ يعني فيها رحمـة.. فيهـا رأفـة.. فيهـا تخفيف لمشقة الصوم.

ثم يقول تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فرحمة بـالمريض والمسافر، ففـي الـسفر مشقَّة، وفي صوم المريض مشقَّة، وبعض المرض ربـما يَـشُقُّ بشِدَّة على المسلم الصوم معه، حتى قال الإمام الغـزالي: فلـو صام فمات مات غير صائم؛ لأنه يحرم صيامه أصلاً، أما بقية الأئمة فقالوا: مات عاصيًا لكنـه صـائم، إذن.. نـص الآيـة وفهم الفقهـاء لهـا يـدل عـلى التخفيـف والرحمـة فـيُرَخَّصُ للمريض والمسافر الفطر، فيَفْرِضُ الله عـلى العبـد أن يفطـرَ، وهذا معنى العبادة أننا نفطر عندما يريـد سـبحانه، ونـصوم عندما يريد سبحانه، يعني أن نعبد الله كما يريد لا كما نريد.

وعندما ذكر الله تعالى الـصلاة ذكرهـا إجمـالاً، وعنـدما ذكـر الزكاة ذكرها إجمالاً، وعندما ذكر الحج ذكر شيئًا مـن التفـصيل، أمَّا عندما ذكر الصيام فذكره تفصيلاً لمـاذا؟ قـالوا: لقولـه ﷺ في حديث قدسي يعلو به النبي إلى ربه سـبحانه وتعـالى «إلا الـصوم فإنه لي وأنا أجزي به»[1]، كأن الصوم سر من الأسرار بين العبـد

(١) أخرجه البخاري (ج٥/ ٢٢١٥ ب برقم:: ٥٥٨٣) ط ابـن كثـير اليمامـة، وأخرجه مسلم (ج٢/ ٨٠٧ ب برقم:: ١١٥١) ط إحياء التراث العربي.

وربه، فلما كان كذلك تولى الله تفصيله في كتابه، إن الصلاة مرئيَّة عند الجميع، والحج مُشَاهَد، والزكاة معروفة، ولكن الصوم سِرٌّ بينَك وبينَ الله، فلمَّا كان الأمْرُ كذلك؛ أحاطَه الله بشيء من الخصوصيَّة، فجعله كلَّه منه وحده سبحانه.

ثم يقول ربنا: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قالوا: الذين يطيقونه أي بحذف النافي، يعني: الذين لا يطيقونه، وهذا يتناسب مع قوله في شأن المرض والسفر ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي الذين لا يطيقونه.. كيف ذلك؟

حذف النافي مع معناه يُعَدُّ أمرًا جائزًا في اللغة، كما في قوله تعالى ﴿تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ (يوسف:٨٥)، يعني لا تفتأ تذكر يوسف، ففي هذه الحالة يحذف النافي.

أو تكون كلمة (أطاق) من الأضداد.. وما هي الأضداد؟

الأضداد يعنى بها: أن كلمة يكون لها معنى ما، ومعنى ثانٍ معاكس لها، مثل كلمة: "عفا" أي: أزال إزالة تامة، أو معناها تَرَكَ تَرْكًا تَامًّا، يقول تعالى: ﴿عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ (المائدة:٩٥) يعني أزال ما سَلَفَ إزالةً تامَّةً، و"عفوت عنك" أي: أزَلْتُ ما في نفسي منك إزالةً تامَّةً، وقوله ﷺ:

«أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى»[1] أعفو اللحى: أي اتركوها تركًا تامًّا، فكلمة "عفا" تَصْلُحُ بمعنى أزال وتَصْلُحُ بعكس الكلمة أي تركه تركًا تامًّا، وكذلك كلمة "سليم"، تقول: مَرَرْنَا برجلٍ سليم، أي صحيح.. كما أنها تصلح بمعنى مريض.

فكلمة (أطاق) تحتمل المعنيين أيضًا، فتأتي بمعنى تَحَمَّلَ.. وبمعنى لم يتحمَّل، إذن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي الذين لا يتحمَّلون الصوم، لأن أطاق من الأضداد.

ثم يبيِّن ربنا الحكم المترتب على عدم القدرة على تحمُّل الصوم فيقول: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ وهنا يثور سؤال: ما الفرق بينها وبين المريض والمسافر؟

يظهر الفرق في أن المريض عندما يتعافى يقضي، والمسافر عندما يعود يقضي، أما الذين يطيقونه فهؤلاء لا يتحملون الصوم أصلاً كالشيخ الهَرِم، وكالمريض المزمن، فماذا يفعلون؟ يخرجون فدية طعام مسكين عن كل يوم.

(١) أخرجه البخاري (ج٥/ ٢٢١٠ ب برقم:: ٥٥٥٤) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج١/ ٢٢٢ ب برقم:: ٢٥٩) ط إحياء التراث العربي بلفظ "احفوا الشارب وأعفوا اللحى".

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ أي إذا أطعم اثنين أو ثلاثة مساكين أو عشرة.. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ خير لأن فيه إخراج للفدية وإطعام للفقراء والمساكين.

﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ إن استطعت الصوم بالرغم من كبر السن أو المرض المزمن فهو خير لكم على كل حال، لا تقل ابتداءً لن أستطيع الصوم وتقول إن الرخصة بذلك قد جاءت صريحة في القرآن، وكما يقول البعض إن الله غفور رحيم، وسيغفر لنا ربنا ويسامحنا، لكنَّ الصيامَ أحسن وأفضل لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لما في الصيام من فوائد جسدية ونفسية.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الصيام من خير كثير، وفضل وفير ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، هنا يثور سؤال: هل الصوم في السفر أفضل؟ أم الأخذ بالرخصة أفضل؟

يقول الإمام أبو حنيفة: التمتع برخصة الله أفضل، ويقول الإمام الشافعي: الصوم أفضل، لماذا؟ قال: لقوله تعالى ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ هذه قاعدة عامة الصيام أفضل، إذن.. يصبح أفضل في السفر.. وأفضل في الحضر.. فاستدل بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ على الخيريَّة فيما لو قارن الإنسان بينه وبين نفسه في السفر مثلا.. هل يُفطر أم لا؟

فيقول مثلا: إن رمضان لا يأتي إلا مرة واحدة في العام ولن يعوضها صيام أي أيام أخرى ويستحضر قوله تعالى:

﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي هو خير لكم، فيصوم رغبة في تحصيل هذه الخيرية.

فقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ معناه: لو كنتم تعلمون ما في هذا الصيام من فضل عند الله، وأن للصائمين بابًا يُقال له الريَّان لا يدخله إلا الصائمون، كما بَيَّنَ رسول الله ﷺ فقال: **«إن في الجنة بابًا يُقال له الرَّيَّان يدخل منه الصائمون»**[1]، وأن الصيام يكفر الذنوب، وينور القلوب، ويستر العيوب، وأنه سبب لاستجابة الدعاء؛ كما قال رسول الله ﷺ: **«إن للصائم عند فطره لدعوة ما تُرَدُّ»**[2] وعلى ذلك فإن الصوم خير كله.

فالله -عز وجل- يُكَلِّمُنا عن قضية الصيام لأنه سِرٌّ بين العبد وربه فتولَّى الله شأنه كله.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ ولم يُسَمِّ سوى هذا الشهر بكلمة "شهر" فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ والشهر قد يكون تسعة وعشرين، وقد يكون ثلاثين يومًا، طبقًا لدورة القمر، ولرؤية الهلال وشهر رمضان عُظِّم من قِبَل الله، لأنه شهر بدأ فيه نزول القرآن والله – سبحانه وتعالى - بَيَّنَ لنا أنه قد

(١) أخرجه البخاري (ج٢/ ٦٧١ ب برقم:: ١٧٩٧) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/ ٨٠٨ ب برقم:: ١١٥٢) ط إحياء التراث العربي.

(٢) أخرجه ابن ماجه (ج١/ ص٥٥٨/ ح١٧٥٣) ط دار الفكر.

أنزله في ليلة القدر فقال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ١-٣) ليلة واحدة خير من ثلاث وثمانين سنة في الذكر، وفي العبادة، وفي تلاوة القرآن، وفي الصلاة، وفي الدعاء، وفي الصدقة، وفي كُلِّ شيء، وليلة القدر ليلة ذات قدر عند الله، يقول الله تعالى، وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: ٢) فهي ليلة ذات بركة، وهذه البركة تُغْنِينا عن طول أعمار السابقين؛ كان السابقون يعيشون مائة سنة.. مائتين.. ثلاثمائة، أما نحن فأعمارنا مهما طالت فهي محدودة، ولن تطاول أعمار السابقين فهي ما بين ستين.. وسبعين.. وثمانين، كما قال رسول الله ﷺ: «**أعمار أمتي ما بين ستين إلى سبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**»[1] فأراد الله تعالى أن يُعَوِّضَ قِصَر أعمار أمَّة النبي ﷺ بليلة القدر، وهي ليلة تساوي ألف شهر، وقد أخفى الله ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، أو في الوتر من العشر الأواخر من رمضان كما أخفى اسمه الأعظم في أسمائه الحسنى، وكما أخفى ساعة الإجابة في يوم

(١) أخرجه الترمذي (ج٥/ ص٥٥٤/ ح٣٥٥٠) ط إحياء التراث العربي، و أخرجه ابن ماجه (ج٢/ ص١٤١٦/ ح٤٢٣٦) ط دار الفكر.

الجمعة، وكما أخفى الصلاة الوسطى في سائر الصلوات، وكما أخفى السبع المثاني في القرآن العظيم؛ تشويقًا للعباد وتشويقًا لهم أن يعبدوا الله، وأن يذكروه في كل الأوقات، وبكل الأسماء، وفي كل الصلوات، وهكذا.

وليلة القدر هذه التي هي في العشر الأواخر من رمضان هي التي نزل فيها القرآن، إذن.. فالقرآن مرتبط برمضان فهو شهر القرآن نزولاً، وشهر القرآن تلاوةً، وشهر القرآن تدبرًا، وشهر القرآن عبادة، وشهر القرآن خدمة، ولذلك فرض الله علينا صيام نهاره، وسَنَّ لنا رسولُه ﷺ قِيَامَ ليلِه في صلاة التراويح، ونظمها المسلمون على ما نعرفه مما هو شائع في بلادنا وبلاد المسلمين، فسيدنا عمر -رضي الله عنه- نظمهم على إمام يصلي عشرين ركعة، ركعتين ركعتين، وهكذا، إحياءً لهذا الشهر الكريم، وحتى لا يتفلَّت منا فيضيع منا خير كثير، وهذا يُعْتَبَرُ من تطبيق الشريعة.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ولماذا أُنزل القرآن؟ أمِنْ أجْلِ تعليق تلك التمائم، أو من أجل قراءته تعبدًا حتى ينال أحدُنا بكل حرف عشرة كما قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام

حرف، وميم حرف»[1] هكذا يقول رسول الله ﷺ فقط.

أو أنه فيه هداية للمتقين كما في صدر سورة البقرة، أو لمن أراد الهداية من الناس أجمعين، أو لمن أراد لهم الهداية؟

فموقف الناس من الكتاب لا بد أن يكون موقف الاستهداء، أي الهداية به والالتزام بأوامره ونواهيه، وليس موقف السخرية، والتعالي البغيض، والصَّدِّ عنه، فهذا نوع من الغباء لأنه تفويت للخير، ومنع لكنوز القرآن من أن يستفيد منها الناس، فيكون هؤلاء الذين يَصُدُّون عن كتاب الله وعن سبيل الله حجابًا بين الخلق وخالقهم.

ثم يقول ربنا: ﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ بيِّنات واضحات أنزله الله على هذه الصفة ليس فيه غموض وليس فيه أسرار وليس فيه جزء ممنوع عن العامة، وجزء آخر يختصُّ بمعرفته العالمون أو الورثة مثلاً.. أبدًا.. ليس عندنا شيء من هذا.

المصحف الشريف يستطيع أي إنسان أن يشتريه، يستطيع أي إنسان أن يحفظه، متاح للجميع، الجميع من؟ جميع الستة مليار إنسان الموجودين على الأرض، متاح لهم ليس فيه سِرٌّ أو مخبوءًا على أحد، لذلك يقول ربنا لنبيه ﷺ: ﴿أَفَأَنتَ

(١) أخرجه الترمذي (ج٥/ ١٧٦ ب برقم:: ٢٩١٠) ط إحياء التراث العربي.

تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ (يونس:٩٩) أبدًا ليس فيه إكراه.

ثم يذكر لنا ربنا متى يلزم الصوم؟ ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ إذا كان نص الآية قال (من رأى).. فإن ذلك كان سيمثل مشكلة كبرى ومشقَّة عظمى للمسلمين فكان سيجب على كل واحد أن يرى الهلال بعينه، لكنَّ نَصَّ الآية قال: (من شهد).. ما معناها؟ أي حَضَرَ، فالمفتي يعلن أن غدًا رمضان مثلا، فيكون كلُّ مَنْ عَرَفَ الخبرَ قد حضر الشهر أي علم أن غدًا رمضان ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ أما الذي لم يَشْهَدْ منكم الشهر؟ لا يصوم، ويُكْمِلُ عِدَّةَ شعبان ثلاثين يومًا ﴿ فَمَن شَهِدَ﴾ أي حضر ﴿مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ انظر إلى دِقَّةِ وبساطة وبلاغة ألفاظ القرآن، لم يَقُلْ "رأى" بل قال (من شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ أي من حضر منكم الشهر فليصمه، والنبي ﷺ فَسَّرَ لنا ذلك الحضورَ وكيف يكون؟ فقال: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته فإن غُمَّ عليكم الشهر فعدوا ثلاثين»[1] (صوموا لرؤيته) أي: رؤية الهلال، هل قال رسول الله ﷺ «صوموا لإبصاره» أم قال: «صوموا لرؤيته»؟

(١) أخرجه مسلم (ج٣/ ١٢٤ ب برقم:: ٢٥٦٨) ط إحياء التراث العربي.

لقد قال ﷺ: «صوموا لرؤيته» فبِمَ تَتِمُّ هذه الرؤية؟ تتمُّ بالإبصار هذا أمر أول، وتتمُّ بالتلسكوب، وليس بالعين المجردة بل بالعين المسلحة، فعينُ الإنسان قد تكون مجرَّدَةً من الآلة فيرى الهلال بها، وقد تصبح مُسَلَّحَةً بالآلة التي توجد في المراصد التي تُسَمَّى التلسكوب "العدسة المكبرة" فيرى الهلال بعينه، وقد يكون ذلك عن طريق القمر الصناعي يرصد الهلال، وينقلُه إلى شاشة التلفزيون فتراه بعينك لكن عن طريق الشاشة، وأيضًا هذا يُسَمَّى رؤية، وقد يكون بالحساب لأن القمر والشمس جعلهما الله تعالى علامة لحساب الأوقات؛ لقول الله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن:٥) فالقمر والشمس لا يتقدَّم أحدهما على الآخر ولا يتأخَّر، كل بحسبان، قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ وقال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس:٤٠).

نخلص من هذا إلى أن كلمة رأى: تعني "عَلِمَ" فالرؤية تشمل الإبصار، والرؤية تشمل العين المسلحة، والرؤية تشمل العين المدركة، والرؤية تشمل الحساب، إذن.. هذه معجزة لأنه استعمل فعلاً في اللغة العربية يَصْلُحُ لكل ذلك، ولذلك فكلمة (رأى) تُستعمل للعين المبصرة، وللرَّأْيِ

فيقول: رأيت رأيا، وللمنام فيقول: رأيت رؤيا، وهكذا، فرأى كعَلِمَ تتعدَّي إلى ثلاثة مفاعيل وليس هناك إلا (رأى) و(علم) من الأفعال تتعدَّى إلى ثلاثة مفاعيل، فعندما يستخدم سيدنا رسول الله ﷺ هذا الفعل ويأتي في القرآن فيعلمنا ربنا أن المسألة مسألة شهود وليست مسألة إبصار فيجعل هذا مع ذاك، فالإسلام قابل للتطبيق أخذًا بالسقف المعرفي والعلمي في كل عصر إلى يوم الدين، وهذا أيضًا معجزة، فمعنى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾ أي حضر مع المسلمين الشهر، فراعى كل ما تقلَّب عليه المسلمين عبر التاريخ، وراعى كل ما يتقلبون عليه عبر التاريخ المستقبل مما لا نعرفه الآن.

نعم.. هذا إعجاز القرآن، أنه قد أُنزل من لَدُنْ حكيم خبير سميع عليم رب العالمين، ولذلك فهو صالح لكل زمان ولكل مكان.

ثم يُبيِّن لنا ربنا مظهرًا من مظاهر يُسْرِ هذه الشريعة الغرَّاء فيقول سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ وهذا مبدأ قرآني عظيم وهو أنَّ هذه الشريعة بُنيتْ على اليُسْرِ، واليُسْرُ قد يختلف الناس فيه، فبعض الناس يرى الشيء سهلاً، وهو هو يراه

آخرون صعبًا، ولو اكتفى بهذا وقال: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ لكان ذلك اليُسْرُ نسبيًّا يتقلَّب فيه الناس ويختلفون، ولكن قال: ﴿ولا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ فهذه غير تلك والشريعة مبنية على رفع الحرج، ومَبْنِيَّة على اليُسْرِ لكن لا يريد بكم العُسْرَ أيضًا، يعني لا تخرُجْ من اليُسْرِ إلى العُسْرِ وتظنُّ أن ما تُعَسِّرُ به على نفسك وغيرك أنه مطلوب الله، بل إن الله يريد اليسر، ولا يريد منكم إلا اليسر ولا يريد بكم العسر.

* * *

المجلس الثامن

رمضان شهر انتصار المسلمين

المجلس الثامن

رمضان شهر انتصار المسلمين

رمضان شهر القرآن، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الدخان:٣ ـ ٦)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر:١ ـ ٥).

وهو شهر الانتصارات عند المسلمين، انتصروا فيه على المشركين المعتدين في غزوة بدر الكبرى في ١٧ من رمضان ٢هـ، وانتصر المسلمون على المشركين كذلك في فتح مكة ٢٠ رمضان سنة ٨هـ.

وانتصر المسلمون على الفرس في معركة البويب (يرموك

فارس) في ١٤ رمضان سنة ١٤ هـ وفتحوا أواسط المغرب في رمضان سنة ٨٢ هـ وفتحوا الأندلس وهزموا الفرنجة في ٢٨ رمضان سنة ٩٢ هـ وفتحوا عمورية في ١٧ رمضان سنة ٢٢٣ هـ وانتصر المسلمون من الحمدانيين على البيزنطيين في رمضان سنة ٣٦٢ هـ وانتصروا على الصليبيين بقيادة نور الدين زنكي في رمضان سنة ٥٩٩ هـ وهزموا التتار بقيادة قطز في ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ وفتح المسلمون بقيادة سليمان القانوني سلطان الدولة العثمانية بلجراد في ٤ رمضان سنة ٩٢٧ هـ.

وأخيرًا انتصرَ المسلمون على اليهود الصهاينة في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ انتصارًا أعزَّ الله به هذه الأمة، وحرَّرَ الأرض، وحَمَى العِرْضَ، وكَسَرَ شَوْكَةَ العدو، وكفى الله المؤمنين شر فتنتهم وغُلُوهم في الإفساد في الأرض، وإهلاكهم للحرث والنسل.

وانتصار العاشر من رمضان لا ينكره إلا مخذول يريد أن يؤيد العدو، وأن يذهب بفرح المؤمنين فهو انتصار لا شك فيه، وانكسار للعدو لا ريب فيه، فلم يغادر العدو أي أرض محتلة إلا عند كَسْرِ أنْفِه ووضعه تحت الأقدام، فهو لا يعرف إلا هذه القوة ولغة الانتصار والانكسار، وما يفعله شاهد

على ذلك، فلم يغادر غزة وهي جزء بسيط من حقوق الفلسطينيين إلا تحت وطأة الانتفاضة ووخز السلاح.

فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، ولذلك فإن المشكك والمتشكِّك في انتصار العاشر من رمضان يُتْلَى عليه قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣)، ومقتضيات النصر هي قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:٧)، و قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران:١٦٠).

فإنْ نَصَرْنَاه نَصَرَنَا، وإنْ نَصَرَنَا فلا غالبَ لنا، والعبرة بالإنسان لا بالعدة والبنيان؛ فقد نصر الله المسلمين في كل المواطن وهم الأضعف والأقل، والله غالب على أمره، ولكنَّ أكثرَ الناس لا يعلمون.

والسِّرُّ في تحقُّقِ هذه الانتصارات في شهر رمضان أنَّ شهرَ رمضان شهر الفيوضات، وشهر استجابة الدعاء، ودعاء المسلم الصائم أرجى للإجابة منه في أي وقت آخر، والمسلمون يثقُون بنصر الله في رمضان وفي غيره لأنهم لا

يخوضون حروبهم إلا بعد الاطمئنان أنها حروب مشروعة في الدفاع عن النَّفْسِ، والمعاقبة بالمِثْلِ، ونُصْرَةِ المظلومين والمستضعفين، فهم يعلمون أنَّ ربهم معهم في كل وقت وحين؛ فهم يُحَقِّقُون مُرَادَ الله منهم في كل مكان وزمان، رزقنا الله الفهم عن الله.. آمين.

* * *

المجلس التاسع

رمضان شهر الصبر

المجلس التاسع

رمضان شهر الصبر

إن التقوى من ثمرات هذا الشهر الفضيل، وكذلك يعلمنا رمضان الصبر، ويجعله خُلُقًا مستديمًا لمَنْ صام رمضان إيمانًا واحتسابًا.

والصبر في اللغة: الحَبْس، ويختلف معناه باختلاف حرف الجر والظرف المستعمل مع هذه الكلمة فهناك الصبر في الله، والصبر بالله، والصبر إلى الله، وهناك الصبر مع الله، ومن المذموم الصبر عن الله والعياذ بالله تعالى، وقد ألَّف ابن القيم الجوزية كتابًا مفردًا لتفصيل شأن الصبر وعظيم آثاره في الدنيا والآخرة، وأسمّاه (**عُدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين**) أي بيان ما وُعِدَ الصابرونَ به.

وقد أمرنا الله بالصبر، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (النساء: ٢٥)، وهو مأمورٌ به عند مواجهة المُعْتَدِين، قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾، ويجعل الله الصابرين في مَعِيَّته، فيقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (الأنفال: ٤٦).

قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله

خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[١].

وكان النبي ﷺ يصبر نفسه بأخبار من سبقه من إخوانه الأنبياء عليهم السلام فعن عبد الله بن مسعود: «أن رجلا قال لشيء قسمه النبي ﷺ: ما عدل في هذا، فقال: فقلت والله لأُخْبِرَنَّ رسول الله ﷺ، فأخبرتُه، فقال: يرحم الله موسى قد كان يصيبه أشَدَّ من هذا ثم يصبر»[٢]، وصَحَّ عنه ﷺ أنه قال للأنصار: «فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[٣].

ويَعْظُمُ أجْرُ الصَّابرين خاصة في آخر الزمان، فصَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**فإن وراءكم أيام الصبر فيهن كقبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين يعمل مثل عمله**»[٤].

(١) أخرجه مسلم (ج٤/ ٢٢٩٦ برقم: ٢٩٩٩) ط إحياء التراث العربي.
(٢) أخرجه ابن حبان (ج٧/ ١٨١ برقم: ٢٩١٧) ط مؤسسة الرسالة.
(٣) أخرجه ابن حبان (ج١٦/ ٢٦٥ برقم: ٧٢٧٥) ط مؤسسة الرسالة، أخرجه البخاري (ج٢/ ٨٣٨ برقم: ٢٢٤٨) ط ابن كثير اليمامة.
(٤) جزء من حديث أخرجه الحاكم (ج٤/ ٣٥٨ برقم: ٧٩١٢) "بلفظه" ط دار الكتب العلمية.، وجزء من حديث أخرجه أبو داود (ج٤/ ١٢٣ برقم: ٤٣٤١) ط دار الفكر بلفظ " فإن من ورائكم أيام الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله".

وتحدَّثت الآية القرآنية عن جزاء الصابرين بصورة جعلت الخيال عاجزًا عن تَصَوُّرِ ذلك الجزاء، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (الزمر: ١٠).

والصبر أنواع يذكرها الشيخ الماوردي الشافعي فيقول: واعلم أن الصبر على ستة أقسام، وهو في كل قسم منها محمود.

فأول أقسامه وأولاها: الصبر على امتثال ما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى الله عنه، لأن به تخلص الطاعة، وبها يَصِحُّ الدين وتؤدَّى الفروض ويستحق الثواب، كما قال في محكم الكتاب: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (الزمر: ١٠)، ولذلك قال النبي ﷺ: «**الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد**»[١].

وليس لمن قَلَّ صَبْرُه على طاعة حَظٌّ مِنْ بِرٍّ، ولا نصيب من صلاح، ومن لم ير لنفسه صبرا يُكْسِبُها ثوابًا، ويدفع عنها عقابًا، كان من سوء الاختيار بعيدًا من الرشاد.. حقيقًا بالضَّلال، وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: يا من يطلب من الدنيا ما لا يلحقه، أترجو أن تلحق من الآخرة ما

(١) أخرجه البغدادي في كتاب الورع (ج١/ ١١٥ برقم: ١٩٤) ط الدار السلفية، و أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (ج٦/ ١٧٢ برقم: ٣٠٤٣٩) ط مكتب الرشد.

لا تطلبه، وقال أبو العتاهية رحمه الله تعالى:

أراك امرءًا ترجو من الله عفوه ... وأنت على ما لا يحب مقيم

تَذُلُّ على التقوى وأنت مُقَصِّر ... فيا من يُداوي الناس وهو سقيم

وهذا النوع من الصبر إنما يكون لفَرْطِ الجزع وشدة الخوف فإنَّ مَنْ خاف الله ـ عز وجل ـ صَبَرَ على طاعته، ومن جزع من عقابه وقف عند أوامره.

والقسم الثاني: الصبر على ما تقتضيه أوقاته مِنْ رَزِيَّةٍ قد أجهدَه الحزن عليها، أو حادثة قد كَدَّه الهَمُّ بها فإن الصبر عليها يَعْقُبُه الراحة منها، ويكسبه المثوبة عنها، فإن صبر طائعًا، وإلا احتمل همًّا لازمًا، وصبر كارهًا آثمًا، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: «من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليختر ربًّا سواي»[1]، وقال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ للأشعث بن قيس: «إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور».

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (ج٢٢/ ٣٢٠ برقم: ٩٢٤٣٥) ط مكتب العلوم والحكم بلفظ " فليلتمس " بدلاً من " فليختر ".

وقد ذكر ذلك أبو تمام في شعره فقال:

وقال علي في التعازي لأشعث ... وخاف عليه بعض تلك المآثم

أتصبر للبلوى عزاء وخشية ... فتؤجر أو تسلو سلو البهائم

وقال شبيب بن شيبة للمهدي: إن أحقَّ ما تصبر عليه ما لم تجدْ إلى دَفْعِه سبيلا، وأنْشَدَ:

ولئن تصبك مصيبة فاصبر لها ... عظمُتْ مصيبة مُبْتَلٍ لا يصبر

وقال آخر:

تصبرت معلوبا وإني لموجع ... كما صبر الظمآن في البلد القفر

وليس اصطباري عنك صبر استطاعة ... ولكنه صبر أمر من الصبر

والقسم الثالث: الصبر على ما فات إدراكه من رغبة مَرْجُوَّة، وأعْوَز نَيْلُه مِنْ مَسَرَّةٍ مأمولة، فإن الصبر عنها يعقب السلو منها، والأسف بعد اليأس خَرَق.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: **«من أعطي فشكر، ومنع فصبر، وظلم فغفر، وظلم فاستغفر، فأولئك لهم الأمن وهم مهتدون»**[1].

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (ج٧/ ١٣٨ برقم: ٦٦١٣) ط مكتب العلوم والحكم، و أخرجه أبو بكر القرشي في كتاب الشكر (ج١/ ٥٨ برقم: ١٦٧) ط المكتب الإسلامي.

وقال بعض الحكماء: اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنلْه مثل ما لا يخطر ببالك فلم تقله.

وقال بعض الشعراء:

إذا ملك القضاء عليك أمرا ... فليس بحلّه غير القضاء

فما لك والمقام بدار ذل ... ودار العز واسعة الفضاء

وقال بعض الحكماء: إن كنت تجزع على ما فات من يدك، فاجزع على ما لا يصل إليك.

فأخذه بعض الشعراء فقال:

لا تطل الحزن على فائت ... فقلما يجدي عليك الحزن

سيان محزون على فائت ... ومضمر حزنا لما لم يكن

والقسم الرابع: الصبر فيما يُخْشَى حُدُوثُه مِنْ رَهْبَةٍ يخافها، أو يحذر حلولَه مِنْ نَكْبَةٍ يخشاها، فلا يتعجَّل هَمَّ ما لم يأت، فإنَّ أكثرَ الهموم كاذبة، وإن الأغلب من الخوف مدفوع، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**بالصبر يتوقع الفرج، ومن يدمن قرع باب يَلِجْ**»(١).

وقال الحسن البصري رحمه الله: لا تحملن على يومك هَمَّ

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (ج٢/ ١٨٨ برقم: ١١٥٧) ط مؤسسة الرسالة.

غَدِك، فحَسْبُ كل يوم هَمَّه.

وأنشد الجاحظ لحارثة بن زيد:

إذا الهم أمسى وهو داء فأمضه ... ولست بممضيه وأنت تعاذله

ولا تنزلن أمر الشديدة بامرئ ... إذا هم أمرا عوقته عواذله

وقل للفؤاد إن تجد بك ثورة ... من الروع فافرح أكثر الهم باطله

والقسم الخامس: الصبر فيما يتوقَّعه من رغبة يرجوها، وينتظر من نعمة يأملها، فإنَّه إنْ أدْهَشَه التَّوقُّع لها، وأذهله التطلُّع إليها انْسَدَّتْ عليه سُبُلُ المطالب، واستفزَّه تَسْويلُ المطامع، فكان أبْعَدَ لرجائه وأعظم لبلائه.

وإذا كان مع الرغبة وقورًا، وعند الطلب صبورًا، انجلت عنه عماية الدَّهش، وانجابت عنه حيرة الوَلَه، فأبصرَ رُشْدَه وعَرَفَ قَصْدَه.

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصبر ضياء**»(١)، يعني - والله أعلم - أنه يكشف ظُلَمَ الحيرة، ويُوضِّح حقائق الأمور.

وقال أكثم بن صيفي: مَنْ صَبَرَ ظَفَرَ، وقال ابن المقفَّع: كان مكتوبًا في قصر أردشير: الصبر مفتاح الدَّرَك.

وقال بعض الحكماء: بحسن التأني تسهل المطالب، وقال

(١) أخرجه مسلم (ج١/ ٢٠٣ برقم: ٢٢٣) إحياء التراث العربي.

بعض البلغاء: من صبر نال المنى، ومن شكر حصَّن النعمى.

وقال محمد بن بشير:

إن الأمـور إذا مُـدَّتْ مَطـالِبُها ... فالصبر يَفْتُقُ منها كل ما ارتتجا

لا تيأسـنَّ وإن طـالتْ مُطَـالَبَةٌ ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومُلْمِنُ القَرْعِ للأبواب أن يلجا

والقسم السادس: الصبر على ما نزل من مكروه، أو حَلَّ مِنْ أمْرٍ مَخُوف، فبالصبر في هذا تنفتح وجوه الآراء، وتستدفع مكائد الأعداء، فإن من قَلَّ صبرُه عَزَبَ رأيُه، واشتدَّ جَزَعُه، فصارَ صريعَ هُمُومِه، وفريسةَ غُمُومِه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فاصبر، فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا**»(١). واعلم أنَّ النَّصْرَ مع الصبر، والفرج مع الكرب،

(١) طرف حديث ٤٤١٦٥ من كتاب كنز العمال. هذا الحديث ذكره رزين. ولم أجده في واحد من الأصول الستة، إلا ما أخرجه الترمذي. وهذا لفظه:

قال: « كنتُ خَلْفَ رسول الله ﷺ يوما، فقال لي: يا غلام، إني

واليُسر مع العسر، وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: الصبر مستأصل الحدثان، والجزع من أعوان الزمان.

وقال بعض الحكماء: بمفتاح عزيمة الصبر تُعالج مغاليق الأمور.

وقال بعض البُلَغَاءِ: عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج(١)

ولا يخفى على مسلم ما يحدث لأمتنا من إهانة وظلم وقتل، وانتهاك للحرمات، وتدنيس للمقدسات، فينبغي لكل مسلم أن يتذكَّرَ المستضعفين من إخوانه في فلسطين وفي العراق، وفي كلِّ مكان، وأن يَدْعُوَ لهمْ بالنَّصْرِ والتَّمْكين والأمْن والاستقرار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

= أُعَلِّمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستَعِنْ بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأقلام، وجَفَّتِ الصُّحف ».

هذا القدر أخرج منه الترمذي، إلا أن الحديث بطوله قد جاء مثله أو نحوه في مسند أحمد بن حنبل - رحمة الله عليه -. (أبو داود - ابن ماجه)

(١) [أدب الدنيا والدين للماوردي (الْفَصْلُ الثَّانِي فِي الصَّبْرِ وَالْجَزَعِ)]

المجلس العاشر

ليلة القدر

المجلس العاشر

ليلة القدر

نتحدث عن ليلة القدر، وهي خصلة من خصال هذا الشهر الكريم، فليلة القدر أفضل الليالي، والعمل الصالح فيها خير من العمل الصالح في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وأنها الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، وتنزل فيها الملائكة، وفي معنى نزول الملائكة فيها قال القرطبي: «أي تهبط من كل سماء، ومن سِدْرَةِ المنتهى، فينزلون إلى الأرض ويُؤَمِّنُون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر، وتنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالرحمة بأمر الله تعالى وبكل أمر قَدَّرَه الله وقَضَاه في تلك السنة إلى قابل»[1].

ويندب إحياء ليلة القدر لفعل النبي ﷺ فإنه كان يجاور في العشر الأواخر، فصَحَّ عنه ﷺ أنه قال: «إني كنت أجاور هذه العشر، ثمَّ بَدَا لي أنْ أجاور هذه العشر الأواخر، فمن كان اعتكف معي فليبت في معتكفه، وقد رأيت هذه الليلة فأنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر في كل وتر»[2].

---

(١) (تفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٣)

(٢) أخرجه البخاري (ج٢/ ٧١٠ ب برقم:: ١٩١٤) ط ابن كثير اليمامة

وورد عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن النبي ﷺ **«كان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر»**[1].

ويكون إحياء ليلة القدر بالصلاة وقراءة القرآن والذِّكْرِ والدعاء، وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وأن يكثرَ من دعاء: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني، لحديث عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: قلت: «يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: **قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني**»[2]، قال ابن علان: بعد ذكر هذا الحديث: فيه إيماء إلى أن أهمَّ المطالب انفكاك الإنسان من تبعاتِ الذنوب، وطهارته من دَنَسِ العيوب، فإن بالطهارة من ذلك يتأهل للانتظام في سلك حزب الله، وحزب الله هم المفلحون.

ولم تكن ليلة القدر من خصائص شهر رمضان فحسب، بل إنها من خصائص هذه الأمة كما ذهب إلى ذلك ذهب جمهور الفقهاء، فرأوا أنها خاصة بالأمة المحمدية ولم تكن في

=

وأخرجه مسلم (ج٢/ ٢٤ ب برقم:: ١١٦٧) ط إحياء التراث العربي.
(١) أخرجه مسلم (ج٢/ ٨٣٢ ب برقم:: ١١٧٤) ط إحياء التراث العربي.
(٢) أخرجه الترمذي (ج٥/ ٥٤٣ ب برقم:: ٣٥١٣) ط إحياء التراث العربي.

الأمم السابقة، واستدلوا بما روي عن مالك بن أنس: أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: «إن رسول الله ﷺ أري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر»[1].

ولما روي «أن النبي ﷺ ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، قال فعجب المسلمون من ذلك، قال فأنزل الله عز وجل ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر* وما أدراك ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف**﴾»[2].

وكان النبي ﷺ يُبَشِّرُ أصحابَه بمَقْدِمِ رمضان وليلة القدر، فعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: «كان النبي ﷺ يُبَشِّرُ أصحابَه بقدوم رمضان، يقول: قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامَه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر» وزاد أحمد في روايته:

(١) أخرجه مالك (ج١/ ٣٢١ ب برقم:: ٦٩٨) ط إحياء التراث العربي.
(٢) أخرجه البيهقي الكبرى (ج٤/ ٣٠٦ ب برقم:: ٨٣٠٥) ط دار الباز ـ وقال حديث مرسل.

«من حرم خيرها فقد حرم ـ أي ليلة القدر ـ»[1].

حكمة إخفاء ليلة القدر:

إخفاء ليلة القدر شأنه شأن إخفاء بعض الأشياء في أشياء أخري وهذا نوع من أنواع التربية حتى يتشوَّفَ الإنسان إلى العبادة من ناحية في كل ما أخفى فيه ذلك الشيء، فمثلاً هنا في العشر الأواخر من رمضان وفي الوتر من العشر الأواخر من رمضان، فيتشوَّفَ الإنسانُ إلى قيام كل هذه العشرة وإلى الاعتكاف فيها وإلى عبادة ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ بالذِّكْرِ وبالتلاوة وبالدعاء في كل هذه العشرة حتى يصيبَ ليلةَ القَدْرِ.

ومن ناحية ثانية التحرُّر مِنْ قَصْدِ شيء بعينه سوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ففي الحقيقة لو أنه تعالى قد دلنا على ليلة القدر لقصدت بعينها، ولكن حينما يجتهد العبد في العبادة هذه الليالي كلها فإنه يُجَرِّدُ نيَّته لله، والعبادة تكون لله لأنه يعبد الله في ليلة القدر، وفي غير ليلة القدر ويرى أنَّ ليلةَ القدر واحدة من عشر ليال، إذن.. فالعبادة ليست من أجل ليلة القدر ولكنَّه سيعبد الله في كل الليالي والأيام.

فالمقصود ليس هو ذات الليلة وإنما هو التدريب على العبادة مخلصين له الدِّين.

(١) أخرجه أحمد (ج٢/ ٤٢٥ ب برقم:: ٩٤٩٣) ط مؤسسة قرطبة.

أخفى الله ـ سبحانه وتعالى ـ في برنامجه التربوي للمسلمين وهو رب العالمين ثمانية في ثمانية وهي:

١ـ اسمه الأعظم في أسمائه الحسنى، وأسماء الله الحسنى الواردة في حديث أبي هريرة ٩٩ اسمًا مائة إلا واحدًا، لكن الواردَ في القرآن أكثر من مائة وخمسين اسمًا، والوارد في السنة أكثر من مائة وستين اسمًا، وبحذف المكرَّرِ يصير عندنا نحو مائتين وعشرين اسمًا لله، ورد في الكتاب والسنة المشهور منها هذه التسعة والتسعون، أخفى الله اسمه الأعظم في هذا العدد الكبير من أسمائه الواردة في الكتاب والسنة حتي ندعوه ـ سبحانه وتعالى ـ كما أمر بالكلِّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف:١٨٠).

٢ـ أخفى السبعة المثاني في القرآن العظيم، والسبع المثاني قيل: الفاتحة، وقيل: الحواميم السبع، وقيل: هي سبع آيات متتاليات، وقيلت أقوال كثيرة، فحتى يصيب العبد قراءة وتلاوة وبركة السبع المثاني يقرأ القرآن كله كالحال المرتحل، كلما انتهيت منه بدأت فيه.

٣ـ أخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة:٢٣٨).

٤ـ أخفى الصغائر في سائر الذنوب، لذلك ينبغي عليَّ أن أبتعدَ عن الصغائر والكبائر لأنني لا أعرف ما الكبير وما الصغير، وكما يقول ابن المعتز:

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

٥ـ أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، ولذلك كان عمر بن الخطاب يقول: صاحب الحاجة يجلس من الفجر إلى المغرب حتى يصيب ساعة الإجابة.

٦ـ أخفى ساعة الإجابة في الثلث الأخير من الليل، ولذلك يقوم العابد يناجي ربه في ذلك الثلث كله، والله ينزل إلى السماء الدنيا كما ورد في الحديث فيقول: "ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر"[1] هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه.. إلى آخر الحديث.

٧ـ أيضًا أخفى ـ سبحانه وتعالى ـ وليَّه في سائر الناس؛ ولذلك ينبغي علينا أن نتواضع للناس جميعًا.

(١) أخرجه النسائي (ج٦/ ١٢٥ ب برقم:: ١٠٣٢١) ط دار الكتب العلمية، وأخرجه أحمد (ج٤/ ٨١ ب برقم:: ١٦٧٩٣) ط مؤسسة قرطبة

٨ـ وأخفى ليلةَ القدر، في العشر الأواخر من رمضان وفي الوتر من العشر الأواخر من رمضان.

فهذا معنى تربوي للإخفاء يدلنا على حكمة إخفاء ليلة القدر، ويدلنا على حكمة إخفاء هذه الأشياء كلها في تلك من أجل هذا التشوُّف ومن أجل الإخلاص وتعميم الفائدة.

كيف نستشعر ليلة القدر

وورد عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: «تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»[1].

إذن.. يمكن للمسلم أن يستشعرَ ليلة القدر؛ لأنه يتكلَّم عن أنه قد يصيبها، وإصابتها يعني أنه قَدْ اطَّلَعَ على أنَّ هذه من ليالي القدر، أو أنها ليلة القدر، أنه سوف يستشعر شيئًا يَدُلُّه عليها، إما باستحضار القلب، وإمَّا برؤية يراها إذا كان نائمًا.

فعلى ذلك يمكن للمسلم أن يستشعر شيئًا من ليلة القدر ولكن مع هذا الاستشعار ومع هذا الإلهام الذي يحدث له، ليس عليه أن يجزمَ جَزْمًا تامًّا على أنها ليلة القدر، لأنَّ هذا

(١) أخرجه ابن ماجه (ج٢/ ١٢٦٦ ب برقم:: ٣٨٥٠) ط دار الفكر، وأخرجه أحمد (ج٦/ ١٨٢ ب برقم:: ٢٥٥٣٤) ط مؤسسة قرطبة.

الذي يحدث من أحوال في القلب قد يحدث في ليلة القدر، وقد يحدث في غيرها، ولكن الإنسان ينتهزُ مثل هذه النفحات، فإنها ليلة لها قَدْرٌ أيضًا، هذه الليلة التي إذا وجد الإنسان فيها نفسه أيضًا، ووجد فيها هذه الأنوار وهذه الاطِّلاعات على الملك والملكوت، ينبغي عليه أن ينتهزها في الدُّعاء محجوب مهما كان.

ولقدْ كان بعض الصحابة يرى أنها في السابع والعشرين؛ فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ قَالَ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ»[1]

وبعض العلماء تكلَّمَ عنْ أنَّ كلمة (هي) رقم (٢٧) لكن على كل حال، فإنَّ كثيرًا جدًّا من العُبَّادِ نظروا إلى أنها آخر ليلة جمعة وتريَّة.

أي أنها تختلف باختلاف بداية الشهر؛ فمرة تأتي ليلة (٢٥)، ومرة تأتي(٢٧)، ومرة تأتي (٢١)، وهكذا كان النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم يتحرَّاها في العشر الأوسط من رمضان ثم تحرَّاها في العشر الأواخر من رمضان.

مما جعل بعض الناس يقول إنها قد جاءت فعلاً يوم (١٧)

(١) أخرجه أبو داود (ج٢/ ٥٣ ب برقم:: ١٣٨٦) ط دار الفكر، وأخرجه ابن حبان (ج٨/ ٤٣٦ ب برقم:: ٣٦٨٠) ط مؤسسة الرسالة.

أو (١٩)؛ فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضي الله تعالى عنه – قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ فِي قُبَّةٍ تُرْكِيَّةٍ عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرٌ، قَالَ: فَأَخَذَ الْحَصِيرَ بِيَدِهِ فَنَحَّاهَا فِي نَاحِيَةِ الْقُبَّةِ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ، فَدَنَوْا مِنْهُ، فَقَالَ: «إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ فَقِيلَ لِي إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ، فَاعْتَكَفَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ: وَإِنِّي أُرِيتُهَا لَيْلَةَ وِتْرٍ، وَإِنِّي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي طِينٍ وَمَاءٍ، فَأَصْبَحَ مِنْ لَيْلَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَقَدْ قَامَ إِلَى الصُّبْحِ فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ فَأَبْصَرْتُ الطِّينَ وَالْمَاءَ، فَخَرَجَ حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَجَبِينُهُ وَرَوْثَةُ أَنْفِهِ فِيهِمَا الطِّينُ وَالْمَاءُ، وَإِذَا هِيَ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ»[1].

وعلى ذلك.. فمقصود ليلة القدر هو تشويق وتشويف المسلم إلى العبادة، ودفعه ليعبد الله في هذا الشهر الكريم، وعلينا ألا نضيع هذا المعنى وإذا ما استشعرنا شيئًا فلا بدَّ علينا أن نبادرَ إلى استغلاله، والالتجاء إلى الله، وأن يكون دعاؤنا للأمة الإسلامية ولتحرير القدس الشريف ولعودة

(١) أخرجه مسلم (ج٢/ ٨٢٥ ب برقم:: ١١٦٧) ط إحياء التراث العربي..

الأقصى، وأن نؤخِّرَ دعاء الدنيا؛ فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

* * *

(١) أخرجه أبو داود (ج٤/ ١١١ ب برقم:: ٤٢٩٧) ط دار الفكر، وأخرجه أحمد (ج٥/ ٢٧٨ ب برقم:: ٢٢٤٥) ط مؤسسة قرطبة.

المجلس الحادي عشر

زكاة الفطر

المجلس الحادي عشر

زكاة الفطر

الفطر لغة: اسم مصدر من قولك: أفطر الصائم إفطارًا، وأضيفت الزكاة إلى الفطر؛ لأنه سبب وجوبها، وقيل لها فطرة، كأنها من الفطرة التي هي الخلقة؛ قال الإمام النووي في المجموع: ويقال للمُخْرَج: فطرة ـ بكسر الفاء ـ لا غير، وهي لفظة مولدة لا عربية ولا معربة، بل اصطلاحية للفقهاء، وكأنها من الفطرة التي هي الخلقة، أي زكاة الخلقة، وممن ذكر هذا صاحب "الحاوي"[1].

والمقصود بزكاة الفطر شرعا: صدقة تجب بالإفطار من رمضان ـ ويمكن أن تخرج قبل ذلك ـ بمقدار محدَّدٍ على كلِّ نَفْسٍ، يُخْرِجُها المسلم عن نفسه وعن من تَلْزَمُه نفقته، وتخرج للفقراء والمساكين وكذلك باقي الأصناف الثمانية التي ذكرهم الله في آية مصارف الزكاة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠).

---

(١) المجموع للنووي (٦/ ١٠٣)

حكمة زكاة الفطر:

شرع الله زكاة الفطر لحكم عالية، وأغراض غالية، نذكر منها:

١. التكافل الاجتماعي.

٢. تعميق روح الإخاء الإنساني بين أفراد المجتمع المسلم، فينبغي على المسلم الذي أغناه الله من فضله ألا ينسى أخاه الفقير، وأن يسعى على تهدئة نفسه، وراحة باله من سؤال الناس في ذلك اليوم، حتى يفرح في العيد هو ومن يعول مثلما يفرح أخوه الغني، وقد قال النبي ﷺ: «أغنوهم في هذا اليوم عن السؤال»[1]، فحث الدين الإسلامي على الرفق بالفقراء بإغنائهم عن السؤال في يوم العيد، وإدخال السرور عليهم في يوم يُسَر المسلمون فيه بقدوم العيد عليهم.

٣. تطهير من وجبت عليه بعد شهر الصوم من اللغو والرفث، فعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر، طهرة للصائم من اللغو والرَّفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد

(١) أخرجه الدار قطني (ج٢/ ١٥٢ ب برقم:: ٢٦٧) ط دار المعرفة.

الصلاة فهي صدقة من الصدقات»[1].

حكم زكاة الفطر:

اتفقت المذاهب الأربعة على وجوب زكاة الفطر على كل مسلم يَقْدِرُ على إخراجها، إلا ما نقل في قول عن المالكية بأنها سنَّة، وقد ضَعَّفَ هذا القول العلامة الدسوقي، ولا يشترط في القدرة على الإخراج ملك نصاب زكاة المال على ما ذهب إليه الجمهور، فمن ملك قوتَ يومه، وزاد عن ذلك مقدارُ الزكاة وجب عليه إخراجها، وهي صاع من الحبوب من غالب قوت أهل البلد، ومقدار ذلك الصاع يختلف باختلاف كثافة نوع الحبوب الذي يخرج منها الإنسان، فمثلاً صاع الأرز ٢.٤٠٠ كيلو جرام، أما في الدقيق فسيكون أقل، وهكذا، ونرى في هذه الأيام أفضلية إخراج زكاة الفطر مالاً، وذلك حسبما تحدده دار الإفتاء المصرية في مصر أو من يقوم مقامها في سائر بلاد العالم الإسلامي.

سند القول بإخراج زكاة الفطر نقودًا:

وقد ذهبنا إلى القول بإخراج زكاة الفطر من النقود

(١) أخرجه أبو داود (ج٢/ ١١١ ب برقم:: ١٦٠٩) ط دار الفكر، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج١/ ٥٦٨ ب برقم:: ١٤٨٨) ط دار الكتب العلمية بلفظ" الصيام "بدل" الصائم ".

موافقة لمذهب طائفة من العلماء يعتد بهم، كما أنه مذهب جماعة من التابعين، منهم:

الحسن البصري حيث روي عنه أنه قال: «لا بأس أن تعطي الدراهم في صدقة الفطر».

وأبو إسحاق السبيعي، فعن زهير قال: سمعت أبا إسحاق يقول: «أدركتهم وهم يعطون في صدقة الفطر الدراهم بقيمة الطعام».

وعمر بن عبد العزيز، فعن وكيع عن قرة قال: جاءنا كتاب عمر بن عبد العزيز في صدقة الفطر: «نصف صاع عن كل إنسان أو قيمته: نصف درهم»، وهو مذهب الثوري، وأبي حنيفة، وأبي يوسف.

وهو مذهب الحنفية، وبه العمل والفتوى عندهم في كلِّ زكاة، وفي الكفارات، والنذر، والخراج، وغيرها.

وهو قول جماعة من المالكية كابن حبيب، وأصبغ، وابن أبي حازم، وابن دينار، وابن وهب، على ما يقتضيه إطلاق النقل عندهم في تجويز إخراج القيم في الزكاة، الشاملة لزكاة المال وزكاة الرؤوس، بخلاف ما نقلوه عن ابن القاسم وأشهب، من كونها أجازا إخراج القيمة في الزكاة إلا زكاة الفطر وكفارة الأيمان.

وهو أيضًا مذهب الإمام الناصر، والمؤيد بالله، من أئمة أهل البيت الزيديَّة.

وبه قال إسحاق بن راهويه، وأبو ثور، إلا أنهما قَيَّدَا ذلك بالضرورة كما هو مذهب بقية أهل البيت ـ أعني جواز القيمة عند الضرورة ـ وجعلوا منها: طلب الإمام المال بدل المنصوص.

كل هؤلاء العلماء ذهبوا إلى ذلك، هذا في عصورهم القديمة وقد كان نظام المقايضة موجودًا، بمعنى أن كل السلع تصلح وسائل للتبادل وخاصة الحبوب، فكان يباع القمح بالشعير، والذرة بالقمح وهكذا، أما في عصرنا وقد انحصرت وسائل التبادل في النقود وحدها، فنرى أن هذا المذهب هو الأوقع والأرجح، بل نزعم أن من خالف من العلماء قديمًا لو أدرك زماننا لقال بقول أبي حنيفة، ويظهر لنا هذا من فقههم وقوَّة نظرهم.

كما أن إخراج زكاة الفطر نقودًا أولى للتيسير على الفقير أن يشتري أي شيء يريده في يوم العيد؛ لأنه قد لا يكون محتاجًا إلى الحبوب، بل هو محتاج إلى ملابس، أو لحم، أو غير ذلك، فإعطاؤه الحبوب يضطره إلى أن يطوف بالشوارع ليجدَ من يشتري منه الحبوب، وقد يبيعها بثمن بخس أقل

من قيمتها الحقيقية ـ وهو ما يحدث فعلا من استغلال بعض التجار لأحوال الفقراء فاشتروا منهم ما عرض عليهم بأقل من الأثمان الحقيقية ـ هذا كله في حالة اليسر، ووجود الحبوب بكثرة في الأسواق، أما في حالة الشدة وقلة الحبوب في الأسواق، فدفع العين أولى من القيمة مراعاة لمصلحة الفقير.

فضل زكاة الفطر:

ولزكاة الفطر فضل عظيم، وثواب جزيل، لا يعلمه إلا الله، وقد أعلمنا الله ببعض ذلك الفضل والثواب.

وذلك الفضل والثواب قد يكون لارتباط هذه العبادة الجليلة بعبادة صيام رمضان فقد روي عن النبي ﷺ أنه «سئل: أي الصوم أفضل؟ فقال شعبان لتعظيم رمضان قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال صدقة في رمضان»[1] وزكاة الفطر صدقة تخرج في رمضان كما صَحَّ عن ابن عمر «أنه كان يؤديها قبل العيد بيوم أو يومين»[2].

(١) أخرجه الترمذي (ج٣/ ٥٢ ب برقم:: ٦٦٣) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه البيهقي (ج٤/ ٣٠٦ ب برقم:: ٨٣٠٠) ط دار الباز.

(٢) أخرجه البخاري (ج٢/ ٥٤٨ ب برقم:: ١٤٣٨) ط ابن كثير اليمامة وأخرجه مسلم (ج٢/ ٦٧٩ ب برقم:: ٩٨٦) ط إحياء التراث العربي بلفظ "أن النبي أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة "عن ابن عمر. وأخرجه أبو داود (ج٢/ ١١١ ب برقم:: ١٦١٠) ط دار الفكر.

قال محمد بن مصطفى الخادمي: (وَدَفْعُ الْقِيمَةِ أَفْضَلُ مِنْ دَفْعِ الْعَيْنِ عَلَى الْمُذْهَبِ، وَمِنْ فَضَائِلِهَا قَبُولُ الصَّوْمِ وَالْفَلَاحُ وَالنَّجَاةُ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ كَذَا عَنْ الْمُنْيَةِ وَالسِّرَاجِيَّةِ)[1].

* * *

(١) (بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية ٦/ ٤٠٨).

المجلس
الثاني عشر
صلاة العيد

المجلس الثاني عشر

صلاة العيد

يوشك أن يُوَدِّعَنَا رمضان ونُودعه، ويذهب إلى ربه فيشهد علينا، ويثني على من أحسن استقباله وختمه، فصامه وقامه إيمانًا واحتسابًا، ويشكو إلى ربه قسوة من هجره ولم يُغَيِّرْ حالَه رغم ما تَيَسَّرَ من الطاعات، وما حدث من تقييد لقوى الشَّرِّ والأبالسة.

يوشك أن يذهبَ رمضان، وندعو الله أن يعيد علينا رمضان في أعوام عديدة، ففيه عطايا كبيرة أعلمنا الله بعضها وأخفى عنَّا كثيرًا منها، ففيه أسرار لا يعلمها إلا العالمون، يقول النبي ﷺ: «**لو يعلم العباد ما رمضان لتمنت أمتي أن يكون السنة كلها رمضان**»(١).

ونحن في الأيام الأخيرة من رمضان نستعد لعبادة عظيمة شرعها الله في ذلك الوقت وهي زكاة الفطر، وبعد إخراج زكاة الفطر يستعدُّ المسلمون لاستقبال العيد، عيد الفطر المبارك، وصلاته الجامعة، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ لأَهْلِ

(١) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الكبير(ج٢٢/ ٣٨٩ برقم: ٩٦٧) ط مكتب العلوم والحكم - بلفظ " لو يعلم العباد ما في شهر رمضان لتمنى العباد أن يكون شهر رمضان سنة "، وجزء من حديث أخرجه ابن خزيمة(ج٣/ ١٩١ برقم: ١٨٨٦) ط المكتب الإسلامي- بلفظه.

الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ قَالَ: كَانَ لَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا وَقَدْ أَبْدَلَكُمُ اللهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الأَضْحَى»[1].

وعيد الفطر هو أول أيام شهر شوال، وبغروب شمس آخر أيام رمضان تبدأ ليلة عيد الفطر.

وعيد الأضحى هو يوم العاشر من ذي الحجة، وهو يوم النحر الذي يلي يوم عرفة.

يبتدئ وقت صلاة العيد عند ارتفاع الشمس قدر رُمْحٍ بحسب رؤية العين المجرَّدة ـ وهو وقت صلاة الضحى ـ ويمتدُّ وقتها إلى ابتداء الزوال ويستحب تأخيرها قليلا عن هذا الوقت بالنسبة لعيد الفطر، وذلك انتظارًا لمن انشغل في صبحه بإخراج زكاة الفطر.

ويستحبُّ للمسلم أن يُكَبِّرَ اللهَ في عيد الفطر من بعد صلاة الفجر وحتى يصعد الخطيب المنبر، وفي عيد الأضحى يكبر من قبل العيد بيوم يعني من فجر يوم عرفة إلى عصر ثالث وآخر أيام التشريق، وهو ما يسمِّيه الناس رابع أيام العيد أو آخر أيام عيد الأضحى وصيغة التكبير هي: «**الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد**».

ويستحبُّ للمسلم في صلاة العيد أنْ يَغْتَسِلَ قبلَ خروجِه مِنْ بيتِه، ويتعطَّرَ، ويلبسَ أفضلَ الثياب، ثم يأتي

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (ج٣/ ١٧٩ برقم: ١٥٥٦) ط مكتب المطبوعات الإسلامية.

المصلى أو السَّاحة التي يصلى فيها للعيد، ويبدأ بالصلاة مع إمامه، وصلاة العيد ركعتين جهرًا، ولكن بعد تكبيرة الإحرام يُكَبِّرُ الإمامُ سَبْعَ تكبيرات ثمَّ يقرأ الفاتحة وسورة الأعلى استحبابًا، وبعد تكبيرة القيام للركعة الثانية يُكَبِّرُ خَمْسَ تكبيرات، ثمَّ يقرأ الفاتحة وسورة الغاشية.

ثم بعد ذلك يخطب الإمام خطبة العيد كخطبة الجمعة فيخطب خطبتين يجلس بينهما تمامًا كالجمعة، ثمَّ يُسَنُّ للمسلم بعد انتهاء الصلاة أن ينصرفَ مِنْ طريقٍ غير الذي جاء منه إلى المسجد، وفي عيد الأضحى يُسَنُّ له أنْ يذبحَ شاة، ويُوَزِّعُ لحمَها على الفقراء والأهل، ويأكل هو منها كذلك، ويُسَنُّ له في العيدين أنْ يزورَ أقاربَه وينهي الخصومات ويصلح ذات البين.

وينبغي أن نُنَبِّهَ أنَّ العيد هو يوم فرح ولعب وذِكر لله تعالى، فلا يجوز للمسلم أن يفرح في مواسم الخير ونفحات الله الطاهرة بمعصية الله، فإن الفرح يكون بالذكر والطاعة، ولا تكون المعصية أبدًا تعبيرًا عن الفرح والسعادة إلا عند من تركه دينه والعياذ بالله، نعوذ بالله أن نقعَ في المعاصي، وعَصَمَنَا الله من عقابه في الفرح والسرور والغضب وفي كل أوقاتنا آمين.

* * *

المجلس
الثالث عشر
صيام الست
من شوال

المجلس الثالث عشر
صيام الست من شوال

ونختم حديثنا عن مواسم الخير بعد رمضان بصيام الست من شوال:

فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**»(١).

ويتصل بصيام الست من شوال مسألة يكثر السؤال عنها، وهي: «**هل يمكن للمرأة أن تقضي ما عليها من أيام في شهر شوال، وتكون بذلك حصلت ثواب الست من شوال**».

والجواب هو ما ذهب إليه السادة الشافعية أن من يقضي رمضان في الست من شوال تبرأ ذمته بقضاء هذه الأيام من رمضان، ويحصل له أجر الصيام في شوال.

مع التأكيد على أنه لا ينوي صيام الست من شوال وإنما ينوي صيام ما فاته من رمضان فقط، وبوقوع هذا الصيام في أيام الست يحصل له الأجر، فإن فضل الله واسع؛ وذلك لأن حديث النبي ﷺ نصه: « من صام رمضان ثم أتبعه

---

(١) أخرجه ابن ماجه (ج١/ ٥٤٧ برقم: ١٧١٥) ط دار الفكر.

ستا من شوال كان كصيام الدهر من صام رمضان، ثم أتبعه بست من شوال، فكأنما صام الدهر»[1]، ولم يخبر بأن صيام هذه الأيام بِنِيَّةٍ مخصوصة لأيَّامٍ مخصوصة من شوال، وإنما تحدَّثَ عن مطلق الإتبَاعِ، وهيئة إتبَاعِ رمضان بست من شوال حاصلةٌ فيمن نوى صيامهم نافلةً، ومن نوى صيامهم كقضاء لرمضان.

وقد أفتى العلامة الرملي ـ رحمه الله ـ بذلك في إجابة سؤال عن شخص عليه صوم من رمضان وقضاء في شوال: هل يحصل له قضاء رمضان وثواب ستة أيام من شوال، وهل في ذلك نقل؟ فأجاب: «بأنه يحصل بصومه قضاء رمضان، وإن نوى به غيره، ويحصل له ثواب ستة من شوال، وقد ذكر المسألة جماعة من المتأخرين»[2].

وبناءً عليه يجوز للمرأة المسلمة أن تقضي ما فاتها من صوم رمضان في شهر شوال، وبذلك تكتفي بصيام قضاء ما فاتها من رمضان عن صيام الأيام الستة، ويحصل لها ثوابها؛ لكون هذا الصيام قد وقع في شهر شوال؛ وذلك لما ذُكِرَ وقياسًا على من دخل المسجد فصلَّى ركعتين قبل أن يجلس

(١) أخرجه مسلم (ج٢/ ٨٢٢ برقم: ١١٦٤) ط إحياء التراث العربي.
(٢) فتاوى الرملي، ج٢ ص ٦٦.

بنية صلاة الفرض، أو سُنَّةٍ راتبة، فيحصل له ثواب ركعتي تحية المسجد، حيث ذَكَرَ الإمامُ النووي في المنهاج: «وتحصل بفرض أو نفل آخر»[1].

وقال جلال المحلِّيُّ في شرحه على المنهاج: «قال في شرح المهذب: فإن صلى أكثر من ركعتين بتسليمةٍ واحدة جاز، وكانت كلها تحية لاشتمالها على الركعتين، (وتحصل بفرض أو نفل آخر) سواء نويت معه أم لا؛ لأن المقصود وجود صلاة قبل الجلوس، وقد وجدت بما ذُكِرَ، ولا يضره نية التحية لأنها سنة غير مقصودة خلاف نية فرض وسنة مقصودة فلا تصح»[2].

فنحن نعم نأسف لانقضاء رمضان ووداعنا له، ولكننا نستقبل مواسم الخير الذي تعقبه من زكاة فطر، وصلاة عيد، وصيام ست من شوال، رزقنا الله طاعته في كل الأوقات.

* * *

(١) شرح الجلال المحلي للمنهاج، ج١ ص ٢٧٣، وبهامشه حاشيتي قليوبي وعميرة.
(٢) شرح الجلال المحلي للمنهاج، ج١ ص ٢٧٣، وبهامشه حاشيتي قليوبي وعميرة.

المجلس
الرابع عشر
مضى رمضان
وتعلمنا منه دروسًا

المجلس الرابع عشر

مضى رمضان وتعلمنا منه دروسا

مضى رمضان، وأكرمنا ربنا فيه بدروس، وتعلمنا منه آدابا جليلة في الطريق إلى الله، واتصلنا فيه بكتاب ربنا الذي وصفه رسول الله ﷺ بأنه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا.

روي علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إنها ستكون فتنة، قال: قلت فما المخرج؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، من ابتغى الهدى (أو قال العلم) من غيره أضله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي تناهى الجن إذ سمعته حتى قالوا: (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد) من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعي إليه هدي إلى صراط

مستقيم»[1].

تعلمنا في رمضان التقليل والتخلي عن الشهوات، والتقليل والتخلي عن الدنيا وما فيها، وهذا من صفات المجاهدين في سبيل الله، وامْتَنَعْنَا في نهاره عن الطعام والشراب، والنبي ﷺ وهو يبني شخصية المسلم وعقليَّته.

يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي يرويه المقدام بن معدي كرب؛ حيث قال: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم ثلاث أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه"[2].

وفي هذا المعنى من الفوائد الطبية والفوائد الروحية ما أدركه سلفنا الصالح، فالمسلم يكتفي بسَدِّ حاجته، ولا يحزن إنْ سُلِبَتْ منه الدُّنيا ومتاعها، وإذا فُتحت عليه فلا يفرح، كما أرشدنا ربنا في كتابه حيث قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل

(١) أخرجه الترمذي (ج٥/ ١٧٣ ب برقم:: ٢٩٠٦) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (ج٦/ ١٢٥ ب برقم:: ٣٠٠٠٧) ط المكتب الإسلامي.

(٢) أخرجه الترمذي (ج٤/ ٥٩٠ ب برقم:: ٢٣٨) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أحمد (ج٤/ ١٣٢ ب برقم:: ١٧٢٢٥) ط مؤسسة قرطبة.

عمران:١٥٣).

وقال سبحانه: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد:٢٣).

ودعاء الصالحين: اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا.

وضرب الله ربنا الأمثال لبيان حقيقة الدنيا، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس:٢٤).

وأكثر سبحانه من ذَمِّ من قصدها ونسي الآخرة ونسي ربه، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة:٨٦).

وقال سبحانه: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ (البقرة:٢٠٠).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة:٢١٢).

وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران:١٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يونس:٧).

وبيَّنَ ربُّنا أن كثرةَ التَّعَلُّقِ بالدنيا يُنْسِي الآخرة كما هو حال الكفار والعياذ بالله، فقد قال ربنا حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (الأنعام:٢٩).

وكثرت آيات القرآن التي تذمُّ الدنيا إن كانت هي المقصد ومنتهى الآمال، قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران:١٨٥). وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء:٧٧).

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:٣٢).

قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا

مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (التوبة:٣٨).

إلا أنَّ اللهَ لا يذمُّ ثواب الدنيا مطلقًا، بل أرشدَ عباده إلى طلب ثواب الدنيا والآخرة منه، فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء:١٣٤).

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة:٢٠١).

فالمؤمن إنْ مَنَعَه الله الدنيا فيعلم أنه لم يمنعْ عنْه إلا ما ذَمَّه في كتابه، ولو كان مَنْعُ زينةِ الدنيا مَنْقَصَةً ما منعها النبيَّ ﷺ، وكان يقول ﷺ: « اللهم لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَأَصْلِحِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ» (١)

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه فذكر الحديث إلى أن قال: فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير فجلست فأدنى

(١) أخرجه البخاري (ج٣/ ١٣٨١ ب برقم:: ٣٥٨٤) ط ابن كثير اليمامة بلفظه، وأخرجه مسلم (ج٣/ ١٤٣١ ب برقم:: ١٨٠٥) ط إحياء التراث العربي بلفظ " اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة ".

عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظا في ناحية الغرفة وإذا إهاب معلق، قال: فابتدرت عيناي، فقال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ قلت: يا نبي الله، ومالي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذا خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله وصفوته وهذه خزانتك، فقال: يا ابن الخطاب، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت بلى[1].

وعن ابن عباس قال: «نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء؟ فقال: ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتركها»[2].

فالدنيا ليست منتهى آمال المسلم، ولا مبلغ علمه، وإذا فتحت عليه يشكر ربه ويبتغي فيما آتاه الله الدار الآخرة، ولا ينسى نصيبه من الدنيا، كما فعل قارون، قال تعالى حكاية

(١) أخرجه مسلم (ج٢/ ١١٠٥ ب برقم:: ١٤٧٩) ط إحياء التراث العربي.
(٢) أخرجه ابن ماجه (ج٢/ ١٣٧٦ ب برقم:: ٤١٠٩) ط دار الفكر، وأخرجه أحمد (ج١/ ٣٩١ ب برقم:: ٣٧٠٩) ط مؤسسة قرطبة.

عنهم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).

تعلَّمْنَا من شهر رمضان الكثير، وما زال يحتاج منَّا أن نقرأه ونتعلَّم من نفحاته ومنحه، وأن نقف عند كل دقيقة وجليلة من روحانياته حتى نتبعها فيتربى فينا ذلك النبيل الذي أراده الله ورسوله ﷺ، وينشأ فينا ذلك المجاهد الذي يرهب عدو الله وعدونا.

إلا أن رمضان ليس موسمًا للعبادة والقُرْبِ فحسْب، بل ينبغي أن يكون منطلقًا لسلوك قويم وحال مَرْضِيٍّ يدوم بعد رمضان، ولا ينبغي أن يكون رمضان مُدَّةً تَعْلُو فيه الهِمَّة ثُمَّ تَخْمُدُ بعدَه، فأحَبُّ الأعمال إلى الله أدْوَمُهَا وإنْ قَلَّ.

ولا ينبغي أنْ يَفْتُرَ المؤمن بانقضاء رمضان فإنَّ رمضانَ مِنْ خَلْقِ الله، ولَمَّا كادتْ هِمَمُ المسلمين تَفْتُرُ بانتقال سَيِّدِ الخلقِ وحبيب الحق رسول الله ﷺ، وهو أعظم الخلق على الإطلاق، قام أبو بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال: «ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإنَّ محمَّدًا قد مات، ومَنْ كان يَعْبُدُ الله فإن الله حي لا يموت»[1].

(١) أخرجه البخاري (ج١/ ٤١٩ ب برقم:: ١١٨٥) ط ابن كثير اليمامة.

ولذا فيَحْسُنُ بنا أن نقولَ مَنْ كانَ يَعْبُدُ رمضان فإن رمضان قد انْقَضَى، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ولا يقضى عليه سبحانه وتعالى، فاثبُتْ أيها المسلم على طاعتِك، ولا تترك كتاب الله فاتلوه آناء الليل وأطراف النهار، ولا تترك صلاة القيام، ولا تركْ حُسْنَ الأخلاقِ، تلك السَّمَاحَةُ والمُسَامَحَةُ التي كانت في رمضان، ولا تَتَجَرَّأ على المحرَّمات فإن الله حَرَّمَ المعاصي في رمضان وفي كل زمان ومكان، فكنْ عبدًا لله وحدَه، وأخْلِصْ له العبادة.

ولقد فتح الله علينا أبواب خير، ومواسم شكر بعد رمضان ليُصَبِّرَنَا على رحيلِه عَنَّا، فشَرَعَ زكاة الفطر شُكْرًا لنِعَمِه وتعاونًا بين المسلمين، وإغناءً للفقراء.

وأخيرًا فإننا قد ودعنا رمضان، وتعلمنا منه، ونستقبل مواسم الخير التي تعقبه؛ عسى الله أن يصبرنا على فراقه، وأن يبلغنا رمضان في أعوام قادمة عديدة، تقبل الله منا ومنكم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

السيرة الذاتية الخاصة
بفضيلة مفتي الديار المصرية
الأستاذ الدكتور/ علي جُمعَة

الاسم: علي جمعة محمد عبد الوهاب.

مكان الميلاد: بني سويف ـ جمهورية مصر العربية.

تاريخ الميلاد: يوم الاثنين ٧ من جمادى الآخرة ١٣٧١ الموافق ٣/ ٣/ ١٩٥٢م.

الحالة الاجتماعية: متزوج، وله ثلاث بنات تزوجن وأنجبن له أحفادًا.

المؤهلات العلمية:

• دكتوراه في أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر ١٩٨٨م مع مرتبة الشرف الأولى.

• ماجستير في أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر ١٩٨٥ بتقدير ممتاز.

• الإجازة العالية (ليسانس) من جامعة الأزهر ١٩٧٩.

• وكان قد حصل على بكالوريوس التجارة من جامعة عين شمس ١٩٧٣م.

الإجازات العلمية:

• حاصل على أعلى الأسانيد في العلوم الشرعية وإجازات من أفاضل العلماء في العلوم الشرعية في الفقه والحديث والأصول وعلوم العربية.

الوظائف:

• مفتي جمهورية مصر العربية منذ عام ٢٠٠٣ وحتى الآن.

• عضو مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف منذ عام ٢٠٠٤ وحتى الآن.
• عضو مجمع الفقه التابع لمنظمة مؤتمر العالم الإسلامي بجدة.
• أستاذ أصول الفقه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة – جامعة الأزهر.
• عضو مؤتمر الفقه الإسلامي بالهند.

الأنشطة العلمية :

١) ناقش وأشرف على أكثر من سبعين رسالة علمية في جامعات شتى.
٢) شارك كخبير بمجمع اللغة العربية في إعداد موسوعة مصطلحات الأصول الصادرة عن المجمع. وهو خبير به حتى الآن.
٣) اشترك في وضع مناهج كلية الشريعة بسلطنة عمان حتى افتتاح الكلية المذكورة وشارك في الافتتاح كعضو مؤسس.
٤) اشترك في وضع مناهج جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بواشنطن.
٥) عُين مشرفًا مشاركًا بجامعة هارفارد بمصر بقسم الدراسات الشرقية.
٦) عُين مشرفا مشاركا بجامعة أكسفورد لمنطقة الشرق الأوسط في الدراسات الإسلامية والعربية.
٧) مثّل الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا وشارك في محاضراتها الثقافية وفي تقويم الأساتذة المساعدين والمدرسين في لجان ترقياتهم.
٨) شارك في فحص التاج العلمي للترقية إلى درجة أستاذ وأستاذ مشارك لكثير من جامعات العالم.
٩) وغير ذلك كثير، وقد اقتصرنا هنا على ذكر أهمه هذه الأنشطة.

المؤلفات ومنها :

١) المصطلح الأصولي والتطبيق على تعريف القياس.
٢) الحكم الشرعي عند الأصوليين.
٣) أثر ذهاب المحل في الحكم.
٤) علاقة أصول الفقه بالفلسفة.
٥) مدى حجية الرؤيا.
٦) النسخ عند الأصوليين.
٧) الكلم الطيب .. فتاوى عصرية.
٨) الكلم الطيب .. فتاوى عصرية (٢).
٩) الدين والحياة .. فتاوى معاصرة.
١٠) الجهاد في الإسلام.
١١) سيدنا محمد رسول الله للعالمين.
١٢) الفتوى ودار الإفتاء المصرية.
١٣) فتاوى الإمام محمد عبده (اعتنى بجمعه واختياره قدم له).
١٤) الطريق إلى الله.
١٥) الوحي – القرآن الكريم.

الأبحاث والمقالات :

كثيرة جدًا منها:
١) الوقف فقها وواقعا.
٦) الإمام محمد عبده مفتيا.
٧) التسامح الإسلامي.
٨) الإسلام بين أعدائه وأدعيائه.
٩) الإسلام يتفق ولا يصطدم ومبادئ السلام والعدل الدوليين.

تحقيق كتب منها :

• رياض الصالحين للإمام النووي، دار الكتب اللبناني.

• جوهرة التوحيد للباجوري، دار السلام.
• شرح ألفية السيرة للأجهوري، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

المؤتمرات:

حضر العديد من المؤتمرات العلمية (أكثر من مائة مؤتمر علمي)، وقدم بها أبحاثا في أكثر من ثلاثين دولة من دول العالم.

* * *

فهرس

الفهرس

صفحة

مقدمة مركز الدراسات المنهجية والمعرفية ٧

المقدمة ١١

المجلس الأول: خصائص رمضان وأثرها الأخلاقي ... ١٥

المجلس الثاني: استقبال شهر رمضان ٣١

المجلس الثالث:الرؤية ٤٥

المجلس الرابع: أحكام الصيام ٥٣

المجلس الخامس: أنواع الصوم ودرجاته..... ٦٧

المجلس السادس: ماذا أفادنا شهر رمضان المبارك؟ ٧٧

المجلس السابع: إشراقات قرآنية ٨٩

المجلس الثامن: رمضان شهر انتصار المسلمين ١٠٧

المجلس التاسع: رمضان شهر الصبر ١١٣

المجلس العاشر: ليلة القدر ١٢٥

المجلس الحادي عشر: زكاة الفطر ١٣٧

المجلس الثاني عشر: صلاة العيد ١٤٧

المجلس الثالث عشر: صيام الست من شوال ١٥٣

صفحة

المجلس الرابع عشر: مضى رمضان وتعلمنا منه دروسًا

..... ١٥٩

ترجمة الأستاذ الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية ١٦٩

الفهرس..... ١٧٥

* * *

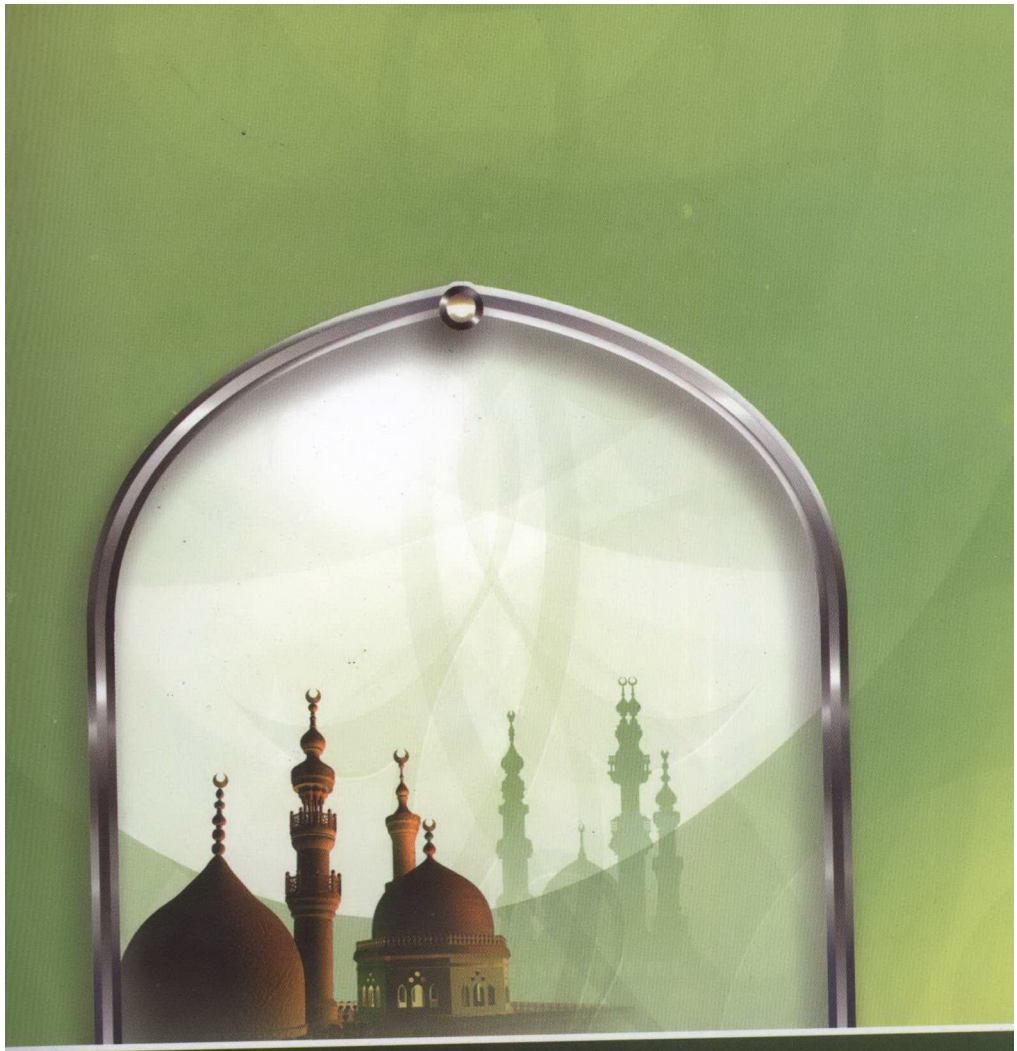

مركز الدراسات
المنهجية والمعرفية